الشباب والمشيب في شعر المتنبي

دراسة بلاغية تحليلية

دكتور

علي عبد الكريم مبروك

المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.

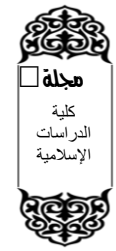
مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن الشباب وكذا المشيب من أهم وأبرز مراحل العمر، بما يعتري الإنسان فيهما من أمور متناقضة كل التناقض، ومختلفة أشد الاختلاف، من قوة في الشباب، وضعف في المشيب، ومن نشاط وحيوية وحركة وانطلاق في الشباب، وخمول وانكسار وانقباض في المشيب، ومن خفة وطيش ونزق في الشباب، ووقار وآنة وحلم في المشيب، ومن طمع وسرف وتطلع في الشباب، وزهد وعفة في المشيب، تلك المعاني وغيرها بما تحمله من تناقض واختلاف، تبعث في نفس الإنسان، فضلًا عن الأديب وخاصة الشاعر، تبعث في النفس قوة واندفاعًا إلى التعبير عما يجول في الصدر من أحلام وآمال يتمناها الشباب، وآلام وأحزان يبثها الكهل الذي أدركه الشيب، والمتنبي ليس كأي إنسان، بل ليس كأي شاعر، فهو شاعر القوة والحكمة، فـ " لم يكن المتنبي ممن شغفوا بمحاسن الطبيعة وأسرارها، ولكنه كان ممن يقبلون بجملتهم على جهاد الحياة في وسط المعمعة، فيحصون عليها هزائمها وانتصاراتها، ويكتبون لها حسناتها وسيئاتها، وكان الرجل أشبه رجال القول برجال العمل في الخلق والمزاج، فأقبل على الجهاد في عصره عاملا، كما أقبل عليه مترقبا دارسا؛ فأعانه ذلك على تقييد ضوابطه وتعليق شوارده، وأخرج لنا من شعره معرضًا واعيا لكل ما يعتلج بالنفس المجاهدة." [1]

([1]) مطالعات في الكتب والحياة لعباس محمود العقاد، دار الفكر١٩٧٨م، ص١٤١

تنظر في شعره تجد فيه من حب للقوة والزعامة والاعتداد بالنفس ما لا تجده لدى شاعر غيره، حتى بدا ذلك واضحا على ألفاظه ومعانيه، واستحق أن يشبه بالملك الجبار: يأخذ ما حوله قهرا وعنوة، والشجاع الجريء: يهجم على ما يريد ولا يبالي ما لقي ولا حيث وقع[١]

ونرجسية المتنبي واعتداده بنفسه أمر لا يحتاج إلى مزيد بيان، فيمكن لمن لديه أدنى ملاحظة أن يرى تلك السمة ويلاحظها بمجرد أول نظرة في ديوانه، بل إن بعض النقاد يرى:

أن سر عظمته يعود إلى اعتداده بنفسه.[٢]

ولكن، ما الباعث على تلك النرجسية وهذا الاعتداد؟ أوليس ما يجده الشاعر في بدنه من قوة وشباب؟، وما تولد عن هذا الشباب في نفسه من طموح وتطلع ورغبة في إدراك المعالي، حتى جعل مدائحه وسيلة لتلك المعالي:

فسرتُ اليك في طلب المعالـي ... وسار سواي في طلب المعاش[٣]

أوليس ما يجده في بدنه من شباب يدفعه دفعًا ليكون بين الناس شيئًا مذكورا؟ ولذا وجدناه يشبه نفسه بالثريا، ويشبه العيب والنقصان بالشيب والهرم، فهما بعيدان عنه كبعد الشيب والهرم عن الثريا.

---

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، جـ١/١٣٣

(٢) المتنبي وسر عظمته مقال للشاعر/ عبد الرحمن شكري، مجلة الرسالة، العدد ٢٩٠ و ٢٩١

(٣) ديوان المتنبي، دار بيروت ١٤٠٣ه ١٩٨٣م، ص٢٤٥

إنه الشباب بجماله وعنفوانه وبأسه واندفاعه، هو الذي جعل المتنبي يتطلع إلى ما تطلع إليه من مكانة ومنزلة، بل إنه في صباه كما يقول الدكتور/طه حسين: كان يتحرق شوقًا إلى الشباب الذي يمنحه القوة والحرية[1]، ولذا وجدناه يلوم نفسه على عدم استغلاله لهذا الشباب الذي كان يتحرق لبلوغه لإدراك ما يريد إدراكه، ونيل ما يتمنى نيله، فيقول:

إلى كم ذا التخلـــف والتوانـــي ... وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي ... ببيع الشعر في سوق الكساد
وما ماضي الشبـــاب بمسترد ... ولا يوم يمر بمستـــعاد[2]

فهذه أبيات يجلد فيها المتنبي نفسه، ويعنفها على تخلفها وتوانيها وانشغالها عن طلب المعالي، خاصة وأنها إذا فاتته في شبابه فلا سبيل إلى إدراكها، فالوقت المناسب لإدراك المعالي هو وقت الشباب، وإذا مضى الشباب عز استرداده، بل استحالت عودته ورجوعه، الأمر الذي دفعه إلى البكاء على الشباب، وهو لا يزال شابا: مسود الشعر، بهي الطلعة، حسن الوجه، وما ذلك إلا خوفًا من ضياعه وتوليه.

وفي هذا البحث أتناول هذه الظاهرة – أعني ظاهرة الشاب والمشيب– من خلال شعره، ويرجع السبب لاختياري لهذه الظاهرة عند المتنبي بالتحديد؛ لما وجدته من اهتمام بالغ من المتنبي وصل إلى حد الهوس والقلق والأرق، فبقراءة ديوانه وجدت هذه الظاهرة قد شغلت حيزًا كبيرا من فكره وعقله، الأمر الذي دفعني إلى محاولة اكتشاف أسباب هذا الأرق الذي أصابه، وأثر ذلك في لغته وأسلوبه، وقد قسمته إلى مقدمة،

---

(1) مع المتنبي د/ طه حسين، دار المعارف، ط:١٣، ص٤٠
(2) ديوان المتنبي ص٨٥

وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس. أما المقدمة فأتحدث فيها عن أهمية الموضوع وخطته، وأما التمهيد فأتناول من خلاله حياة المتنبي وشعره، وأما الفصل الأول فأتحدث فيه عن خصائص المفردة والجملة في شعر الشباب والمشيب عند المتنبي، وأما الفصل الثاني فأتحدث فيه عن التصوير البياني في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب، وأما الفصل الثالث فأتناول من خلاله المحسنات البديعية في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب.

والله المستعان ومنه التوفيق والسداد.

تمهيد

المتنبي: حياته وشعره

نشأته

أبو الطيب المتنبي شاعر عبقري عجيب، ملأ الدنيا وشغل الناس، وثارت حوله الدراسات التي تناولته بكلياته وجزئياته، وبأصوله وفروعه، وبعظيمه ودقيقه. اسمه: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي، المعروف بالمتنبي، الشاعر المشهور. وهو من أهل الكوفة، وقدم الشام في صباه، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها. وَكَانَ كثير التنقل والأسفار، وَكَانَ قبل اتِّصَاله بِسيف الدولة يمدح الْقَرِيب والغريب، ثم وفد على سيف الدولة صاحب حلب فمدحه وحظي عنده. ومضى إلى مصر فمدح كافورا الإخشيدي وطلب منه أن يوليه، فلم يوله كافور، فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه. قصد العراق وفارس، فمدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي في شيراز. ثم عاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبي جماعة أيضاً، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب، وابنه محسّد، وغلامه مفلح، بالنعمانية بالقرب من دير العاقول، في الجانب الغربي من سواد بغداد، فِي شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.[1]

([1]) ينظر: الأنساب للسمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط:الأولى١٣٨٢هـ ١٩٦٢م، ص٧٧، وينظر: يتيمة الدهر للثعالبي، تحقيق: د/ مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى ١٤٠٣هـ١٩٨٣م، جـ١٤١/١ وينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى١٤١٧هـ، جـ٣٢٤/٤

أخلاقه

كان أبو الطيب يتسم بغلظة في طبعه، وشدة في عتابه، كما كان كثير التحامل، ظاهر الكبر والأنفة والإباء.(١)

إلى جانب ذلك كان محبا للمال، بخيلًا به، حريصا عليه، وقد سئل عن ذلك: فذكر قصة له مع رجل كان يبيع بطيخًا، وقد آثر هذا الرجل أن يبيع البطيخ لرجل غني بدرهمين على أن يبيعه للمتنبي بخمسة دراهم، فلما تعجب المتنبي من فعله، قال له صاحب الدكان: هذا ملك مائة ألف دينار. فأصبح المتنبي شحيحا بالمال حتى يجمع مائة ألف دينار.(٢)

ومما يروى في ذلك أيضًا أن أحدهم مدحه بقصيدة، فقال له: كم أمّلت منا على مدحك؟ قال: عشرة دنانير. قال له: الله لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا. (٣)

" ثم هو رجل حقود، ملأ الحقد نفسه؛ فأفسد عليه حياته. فلا تراه إلا ساخطا على الدنيا، برما بالناس، ناقما على أهل النعمة والجاه " (٤)

---

(١) العمدة لابن رشيق، جـ١٦٤/٢

(٢) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي للشيخ يوسف البديعي، المطبعة العامرة الشرفية، ط:الأولى ١٣٠٨ه، جـ٨٤/١،٨٥

(٣) ينظر: المستطرف في كل فن مستظرف لأبي الفتح الأبشيهي، عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ، ص١٨٢

(٤) المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة د/ عباس حسن، مطبعة البابي الحلبي، ط:الأولى١٣٧٠ه ١٩٥١م، ص٤٠٣

وكان المتنبي منقبض النفس متشائما، حزين الطبع، فتراه ينطق بالكلمة الحزينة حيث ينتظر المقام غيرها أثناء مدح أو غزل.[١]

والمتنبي معذور في ذلك؛ لأن التشاؤم طبيعة العقل المتيقظ، وكيف لا يتشاءم العقل حين ينظر إلى الكون والحياة فيجد مقدما ما يجب أن يكون مؤخرا، ومؤخرا ما ينبغي أن يكون مقدما[٢] ولله دره إذ يقول:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم[٣]

والمتنبي كان متعففًا عن شرب الخمر ومعاقرتها، وعن الاشتغال بالنساء، وقد بدا ذلك واضحا في شعره ومن ذلك قوله:

وغير فؤادي للغواني رميــةٌ ... وغير بناني للزجاج ركابُ

تركنا لأطراف القنا كل شهوة ... فليس لنا إلا بهن لعاب[٤]

وقوله:

لأحبتي أن يملؤوا بالصافيات الأكوبـا

وعليهم أن يبذلوا وعلي أن لا أشربـا

حتى تكون الباترا ت المسمعات فأطربا[٥]

فلا تطربه الخمر بقدر ما تطربه السيوف الباترات بصليلها، ولا تأسره الغواني بقدر ما تأسره الأسنة والرماح.

---

(١) ذكرى أبي الطيب د/عبد الوهاب عزام، شركة نوابغ الفكر، ط: الأولى١٤٣٤ه٢٠١٣م، ص٢٥٨

(٢) المتنبي في الدراسات الأدبية الحديثة في مصر، د/ ضيف الله هلال العتيبي، دار غريب بالقاهرة، ط: الأولى ٢٠٠٧م، ص٣٦٢

(٣) ديوان المتنبي ص٥٧١

(٤) الديوان ص ٤٧٩

(٥) الديوان ص٥٧

ثقافته

كان المتنبي واسع الثقافة، كثير الاطلاع، متبحرا في الأدب و اللغة، وخير دليل على ذلك ما حشده في شعره من محصول ثقافي ولغوي ضخم.[١]

يقول صاحب معاهد التنصيص: " لقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيّها، ولا يسأل عن شيء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر؛ حتى قيل إن الشيخ أبا على الفارسي قال له يومًا: كم لنا من الجموع على وزن فِعْلى؟ فقال المتنبي في الحال: حِجْلى وظِرْبى، قال الشيخ أبو على: فطالعت في كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثًا فلم أجد." [٢]

وقد ساعده على ذلك ما تمتع به من ذاكرة شديدة وحافظة قوية، ومما يروى في ذلك أنه حفظ كتابًا من ثلاثين ورقة، بعد أن قرأه مرة واحدة. [٣]

" وهذه الرواية وإن كانت المبالغة ظاهرة فيها، تومض بالشهرة التي حظي بها المتنبي في صباه من قوة الحفظ، ومثابرة على الدرس، وحدة

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي لشوقي ضيف، دار المعارف، ط:الحادية عشرة ، ص٣٠٩

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، جـ١/٣٠

(٣) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي، تحقيق: عبود الشالجي، دار: صادر، بيروت، ط:الثانية ١٩٩٥م، جـ ٢٤٦/٤

في الذكاء، واختلاف إلى أماكن الثقافة لينهل منها كل ما يصادفه، وكأنه يعد نفسه لليوم الذي يقف فيه على قمة شعراء العربية " [1]

وأيا ما كان فإن التراجم تثبت شغفه بالمطالعة ودراسة الشعر، وحفظ الكثير من أشعار العرب على مدار العصور، وليس ذلك بغريب على شاعر يصف الكتاب بأنه خير جليس فيقول:

أعز مكانٍ في الدنى سرج سابحٍ ... وخير جليسٍ في الزمان كتابُ[2]

شعره

يقول العقاد: " الشاعر الذي لا نعرفه بشعره لا يستحق أن يعرف؛ لأن كلام الشاعر هو الصلة الكبرى بيننا وبينه، وإن لم يكن هذا الكلام معبرا عن نفسه واصفا لها ممثلا لشعورها فليس هو بطائل" [3]

وشعر المتنبي في مقدمة هذا النوع من الشعر المعبر عن نفس صاحبه، الواصف لها، الممثل لشعورها، حتى لا تكاد تذكر بيتا من شعره فضلا عن قصيدة من قصائده، إلا ويتهافت الجميع بذكر المتنبي ونسبة هذا البيت إليه؛ وما ذلك إلا لما يجدونه من روح المتنبي الممزوجة بهذا الشعر، وعقله الذي استمد منه هذا الشعر، وطابعه الذي طبع به شعره.

إن شعر المتنبي مرآة لعصره ونفسه، وهو مظهر لهمته العالية، ونفسه الطموح، وأخلاقه القوية، وقد مضى على مقتله ألف عام أو تزيد ولا يزال شعره حيا فينا، قوي التأثير في نفوسنا، يملؤنا إعجابا بنبوغه، ويملؤنا

---

(1) ثقافة المتنبي لفاروق حسان، مكتبة: العلم والإيمان بالعامرية، الإسكندرية، ط: الأولى، ص٣٧

(2) الديوان ص٤٧٩

(3) ساعات بين الكتب ضمن المجموعة الكاملة للعقاد، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط:الأولى، المجلد السادس والعشرون، ص٨١٣

حرصا على التمسك بمثله العليا: كالشرف والشجاعة وعلو الهمة، ولا يزال الناس حتى يومنا في شغل به، ولا يعرف شاعر في العربية احتفل بنبوغه القدماء والمحدثون من العلماء والنقاد حفاوتهم بأبي الطيب. (١)

ولو أخذنا في تناول القيمة الفنية لشعره لطال بنا المقام، ولذا أكتفي بنقل رأي ضياء الدين ابن الأثير في شعره حيث يقول: "ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع، وأنفذت شطرا من العمر في المحفوظ منه والمسموع، فألفيته بحرا لا يوقف على ساحله، وكيف ينتهى إلى إحصاء قول لم تحص أسماء قائله؟ فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده، وتتشعب مقاصده، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم، إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف، في اللفظ الجزل واللطيف، فمتى وجدت ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل. وقد اكتفيت في هذا بشعر أبي تمام حبيب بن أوس وأبي عبادة بن الوليد "البحتري" وأبي الطيب المتنبي، وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين، إلى فصاحة القدماء، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء." (٢)

وابن الأثير هو من هو في نقد الشعر وإدراك محاسنه والوقوف على دقائقه ولطائفه، فحكم كهذا لم يقع منه – كما ذكر هو – عن هوى أو تقليد، وإنما جاء بعد فحص للشعر وتمحيص.

---

(١) نصوص مختارة في الأدب العباسي د/ محمد حسن شرشر، ط:الأولى١٣٩٩ه، ص٤٣،٤٤

(٢) المثل السائر لابن الأثير، تحقيق:أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر، جـ٣/٢٢٥وما بعدها

وكان من أثر تلك الشاعرية التي تمتع بها المتنبي، أن رزق من الشهرة واشتغال الناس بأمره حظًا لم يرزقه أحد قبله ولا بعده من شعراء العرب، رزقه في حياته وبعد مماته، فقد سار شعره كل مسير، ورويت قصائده في كل أرض فيها لافظ بالعربية، واشتد التعصب له والتعصب عليه بين المتأدبين وغيرهم، حتى بلغ الأمر بالفريقين حد الهوس والجنون[1]

وتنافس الملوك والأمراء وتسابقوا إلى طلب المدح منه؛ لئلا يقال إنهم دون من قصدهم بمدحه، وكتبوا له يستقدمونه، فما جاء أحدا منهم إلا مدعوا مكرما، بل إن سيف الدولة قبل منه أن ينشده الشعر جالسا خلافا لعادة الشعراء في الإنشاد.

(1) مطالعات في الكتب والحياة. عباس محمود العقاد. ص١٣١

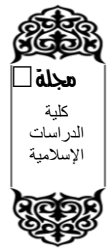
مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

الفصل الأول
خصائص المفردة والجملة في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب

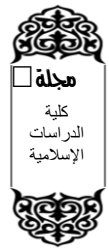
مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الأول: جماليات المفردة وأثرها في نظم الجملة

إن من شعر المتنبي ما هو من نوع الشعر السهل الممتنع، الذي تروقك قراءته ويسهل عليك حفظه، بل ربما أطمعك فظننت أن لديك قدرة على الإتيان بمثله، فإذا ما حاولت ذلك امتنع عليك، وصعب الأمر واشتد، ووجدت ما ظننته من سهولة صعبا عسيرا، ومن جهة أخرى هناك من شعره ما حكم النقاد بغموضه وجفائه إلى حد حمل بعضهم أن يقول فيه: إنه رجل " يتفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة؛ حتى كأنه وليد خباء أو غذي لبن، لم يطأ الحضر ولم يعرف المدر" [1] وهنا ملمح قد فطن له الدكتور شوقي ضيف، ولم يفطن له كثير من الباحثين، وهو أن المتنبي كان يتعمد هذه الغموض في شعره، بل ربما كان يتعمد تلك السرقات التي اتهم بها، والذي دفعه إلى ذلك – من وجهة نظري– حب الظهور، فقد كان المتنبي محبا للشهرة، راغبا في أن تسلط عليه الأضواء، وأن ينشغل الناس بالحديث عنه وتتبع شعره وأخباره ، وقد نجح في ذلك، بل برع فيه، فثار الجدل حوله حتى يومنا هذا، وانقسم الناس بين مؤيد له ومعارض.[2] وشعر المتنبي ممزوج بالحكمة، تسطيع أن تحكم على صاحبه بأنه حكيم غلب عليه الشعر، أو فيلسوف في زي شاعر، وهو شعر لا يعبر عن نفس صاحبه خاصة، بل إنه يعبر عن النفس الإنسانية عامة، وأظن أن تلك السمة – أعني تعبيره عن النفس الإنسانية– هي صاحبة

---

(1) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي للصاحب بن عباد، تحقيق الشيخ: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط: الأولى ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، ص٤٨

(2) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د/ شوقي ضيف، دار المعارف، ط:١١ ص٣٤٠، ٣٤١

الفضل في نيل الشاعر ما ناله من منزلة ومكانة بين شعراء عصره وما سبقه ولحقه من عصور، لقد استطاع المتنبي بفطنته، وما وهبه الله من قدرة على سبر النفوس وقراءة الأفكار والهواجس، أن يعبر عن النفس الإنسانية أصدق تعبير وأدقه، الأمر الذي يجعل كل قارئ لشعره يسلم لحكمه، ويقر برأيه، ويعترف بقوله، وتأمل معي على سبيل المثال قوله:

أرى كلنا يبغي الحيـــــاة لنفسهِ ... حريصاً عليها مستهاما بها صبـا

فحب الجبان النفس أورده البقا ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا

ويختلف الرزقـــان والفعل واحدٌ ... إلى أن ترى إحســـان هذا لذا ذنبا[١]

وقوله:

ولم أر في عيوب الناس شيئا ... كنقص القادرين على التمام. [٢]

وإذا كان مدار الحديث في هذا البحث عن الشباب والشيب، فانظر إلى قوله:

وإذا الحلم لم يكن في طباعٍ ... لم يحلم تقدمُ الميلادِ [٣]

وقوله:

وإذا الشيخ قال أف فما مـ ... ـل حياةً وإنما الضعف ملا

آلةُ العيش صحـة وشبـاب ... فإذا وليا عن المرء ولى [٤]

وقوله:

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى ... شيبا يميت ولا ســـواداً يعصم

---

(١) الديوان ص٣٢٧

(٢) الديوان ص٤٨٣

(٣) الديوان ص٤٦٤

(٤) الديوان ص٤٠٧

والهم يخترم الجسيم نحافةً ... ويشيب ناصية الصبي ويهرم [1]

وبأدنى نظرة تستطيع أن تحكم بأن هذه المعاني راسخة في كل نفس، لكننا لا نستطيع أن نعبر عنها كما عبر المتنبي، فهي معان قريبة بعيدة، قريبة من حيث إنها مركوزة في النفوس، وهي مقرة ومسلمة بها، بعيدة من حيث إن اللسان لا يستطيع أن يعبر عنها كما عبر عنها المتنبي، وكأني بالمتنبي يلتقط لنا الثمار التي نراها بأعيننا، وتعبر رائحتها الزكية أنوفنا، لكن ليست لدينا قدرة على قطفها؛ لارتفاعها عنا، أو لغلاء ثمنها علينا، لكن المتنبي هيهات أن ترتفع عنه هذه الثمار، فهي في متناوله، وهيهات أن تغلو عليه، فلديه من الغنى ما يكفي لشرائها وشراء غيرها، والمتنبي إلى جانب ذلك بارع في اختيار ألفاظه، وصياغة عباراته، وتنظيم أفكاره، وصوغها في صورة بديعة ممتعة، ومن هنا كان لزاما أن ننظر في طريقة اختياره لمفرداته، وطريقة صياغته لجمله.

ولنبدأ بالحديث عن جماليات المفردة في شعر الشباب والمشيب عند المتنبي، فأقول: إن المفردة في شعر المتنبي تتسم بدقتها، وهي في الوقت ذاته ملائمة للسياق الذي تستعمل فيه، وبذلك يتحقق له الأمران: دقة الألفاظ ، وملاءمتها للسياق، ويترتب على ذلك وقوعها في نفس المتلقي موقعا حسنا.

أولًا– دقة الكلمة ووفاؤها بالمعنى.

إن المتنبي لديه قدرة على اختيار مفرداته بحيث تؤدي ما يقصده من أغراض، وما يريده من معان، وتظهر هذه الدقة بصفة خاصة في تلك

(1) الديوان ص٥٠٧

الأبيات التي يربط فيها بين الصدر والعجز، ويجمع فيها بين المتناقضات والأضداد، ولنتأمل في ذلك قوله:

إلى كم ذا التخلـــف والتوانـــي ... وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي ... ببيع الشعر في سوق الكساد
وما ماضي الشبـــاب بمسترد ... ولا يـــوم يمر بمستـــــــعاد
متى لحظت بياض الشيب عيني ... فقد وجدته منها في الســـواد
متى ما أزددت من بعد التناهـي ... فقد وقع انتقاصي في ازديادي[1]

نجد أنه في البيت الأول قد لجأ إلى التكرار، فكلمة " كم " في الشطر الأول، قابلتها " كم " في الشطر الثاني، وكلمة " ذا " في الشطر الأول، قابلتها " هذا " في الشطر الثاني، ثم نجد في الشطر الأول تكرارا معنويا بين كلمتي التخلف والتواني، قابله في الشطر الثاني تكرار لفظي في كلمة التمادي، وعلى الرغم من هذا التكرار لم تجد النفس غضاضة في استساغة البيت، خاصة وأنه يزجر نفسه ويؤنبها على تفريطها وتقصيرها، وكأن نفسه منكرة لذلك أو متناسية له ومتغافلة عنه، فاحتاج إلى تكرار هذه الألفاظ حتى تستفيق من سباتها وتستيقظ من غفلتها، فتبتعد عن التواني والتخلف والتمادي، بالإضافة إلى ذلك فإن هذا التكرار للمفردات أضفى على البيت لونا من الموسيقى، وأكسبه شيئا من الجرس والرنين، وإذا ما انتقلنا إلى البيت الثالث نجد أن الشاعر قد لجأ الى التكرار المعنوي أيضًا، فعبر في الشطر الأول بقوله " مسترد" وعبر في الشطر الثاني بقوله: " مستعاد" ، وشطر البيت الثاني يعد تكرارا للشطر الأول، فمعناهما واحد ويؤديان إلى نتيجة واحدة مفادها: أن الشباب إذا ولى

(1) الديوان ص٨٥

استحالت عودته، وكأن الشاعر أراد بهذا التكرار أن يحث نفسه على الاستفادة من شبابها وقوتها في نيل ما تريد نيله والحصول على ما تريد الحصول عليه، ثم انظر إلى تلك الموسيقى التي أضفتها كلمتي " بمسترد" و " بمستعاد" وهذا التقارب بين حروف الكلمتين الذي أدى إلى عذوبة وسهولة في النطق والسمع، ثم إذا ما انتقلنا إلى البيت الرابع نجد أن المتنبي عبر بقوله: " لحظت" وآثر هذه الكلمة على ما عداها مما يؤدي معناها من نحو: رأت ، أو أبصرت، أو شاهدت، لأن في التعبير بـ "لحظت" معنى ليس في غيرها، جاء في اللسان: " ولَحَظَ إليه: نظره بمؤخِرِ عينِه من أَيّ جانبيه كان يميناً أَو شمالاً " [1] فهي إذن نظرة فيها ترقب وخوف واستحياء، وكأن المتنبي مترقب للشيب، على حذر منه، وخائف أن يدركه ولم ينل ما أراده، وكان يكفي أن يقول المتنبي: متى لحظت الشيب عيني، لكنه آثر أن يقول: متى لحظت بياض الشيب عيني، ثم يختم البيت بقوله: فقد وجدته منها في السـواد، ليقابل بذلك بين بياض الشيب وسواد العين، وكيف تحول سواد عينيه بمجرد ملاحظتها للشيب إلى بياض، فاتخذ من ذكر البياض وسيلة إلى إظهار ما أصابه من هم وحزن وشدة بكاء، حتى تحول هذا البياض في رأسه إلى عينيه، فهو في الحقيقة لم يقع في رأسه، وإنما وقع في عينه فصارت عمياء برؤية هذه الشيب. ثم نرى في البيت الأخير استعماله لكلمتي" انتقاصي" و"ازديادي" وذلك بذكر الشيء ونقيضه، وكيف جعل الزيادة في العمر هي عين النقصان منه، كل ذلك يدل على قدرة الشاعر وتمكنه من استخدام اللغة، وتطويعها لتفي بما في نفسه من معان، ولتؤدي ما يقصده من أغراض.

(1) اللسان مادة " لحظ " دار صادر، بيروت، ط: الأولى جـ ٤٥٨/٧

ولنتأمل كذلك قوله:

ضيفٌ ألم براسي غير محتشمِ ... والسيفُ أحسنُ فعلاً منه باللمم
إبعدْ بعدتَ بياضاً لا بياض له ... لأنت أسودُ في عيني من الظلمِ
بحبِّ قاتلتي والشيبِ تعذيبي ... هواي طفلاً وشيبي بالغ الحلمِ
فما أمر برسمٍ لا أسائله ... ولا بذات خمارٍ لا تريقُ دمي[1]

نجد أنه جمع في البيت الأول بين كلمتي: ألم بمعنى: نزل وحل، واللمم: وهو شعر الرأس، والكلمة الأولى في بداية الشطر الأول والثاني في نهاية الشطر الثاني، وكان في إمكان المتنبي أن يقول: ضيف نزل أو حل أو أقام، كما كان في إمكانه أن يقول: والسيفُ أحسنُ فعلاً منه بالرأس، إلا إنه آثر التعبير بـ " ألم " و " اللمم " حرصًا منه على هذا الجرس وتلك الموسيقى، وفي ألمَّ معنى الإتيان على غير مُواظبة وَلَا وقتٍ مَعْلوم[2] وهذا ما فعله الشيب بالمتنبي، فقد نزل به في غير وقته، ومن هنا كانت الكلمة معبرة عن المعنى.

ثم نجد البيت الثاني قد اشتمل على تلك الألفاظ: بياضًا، لا بياض له، وهذان اللفظان بينهما طباق بالسلب ، فبياض الشيب ليس ببياض، بل هو في حقيقة الأمر أشد سوادا من ظلام الليل الحالك، وقد استطاع هذا الطباق إلى جانب ما أضفاه على البيت من موسيقى- أن يبرز ما يكتنف الشاعر من بغض للشيب جعله يفضل ضرب الرأس بالسيف عليه،

([1]) الديوان ص٢٠

([2]) تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ١٥/٢٥٠

ويراه في صورة المخادع الذي يحاول جذب النفوس ببياضه إلا أنه بياض لا يسر.

وأما البيت الثالث فقد حوى هذه الكلمات: قاتلتي، تعذيبي، هواي، شيبي، وكلها منتهية بياء المتكلم، وحوى كذلك تلك الكلمات: بحبِ- والشيبِ- الحلم وكلها مكسورة الأخر، والكسرة من جنس الياء، وتلك الياءات لاشك أكسبت البيت نغما وسلاسة ناتجة عن توافق الحركات. ثم إن في قصره العذاب على الحب والشيب في قوله: (بحبِّ قاتلتي والشيبِ تعذيبي) ما يدل على انشغاله الشديد بهذين الأمرين واهتمامه بهما؛ بسبب ما أحدثاه في قلبه وبدنه، لاسيما وأنه أحب وهو طفل، وأدركه الشيب وهو غلام.

و قوله: "هواي طفلاً وشيبي بالـــغ الحلمِ" تفصيل لما أجمله فى الشطر الأول، لأنه بيّن به وقت المحبة ووقت الشّيب.(١)

والمعنى: هويت وأنا طفل، وشبت حين احتلمت، فعذبت بذلك أشد العذاب.

وقد تعانقت كل هذه الأساليب وتعاضدت؛ لترسم لنا الصورة، وتؤدى المعنى المراد من بغضه للشيب وضيقه به.

ولكن مما أخذ عليه هنا أنه وضع الحشمة موضع الاستحياء، والعرب تضعها موضع الغضب، وأوجب الاستحياء من الضيوف، وميّز عادة هذا الضيف من عاداتهم، وحشمة الضيف إنما تكون من لئيم فأما من أهل الكرم فلا حشمة منهم، وكذا أخذ عليه التعبير بـ " أسود " في قوله:

(١) ينظر: أمالي ابن الشجري، تحقيق د/ محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م، جـ١/١٠٥

لأنت أسود في عيني من الظلم؛ لأن العرب لا تقول: أسود من كذا، ولا أحمر من كذا، إنما تقول في الألوان: أشد سواداً أو أشد حمرة. [١]

ونتأمل كذلك قوله:

شيبُ رأسي وذلتي ونحولي ... ودموعي على هواك شهودي

أي يومٍ سررتني بوِصـــــالٍ ... لم ترعنـــــي ثلاثةً بصدودِ[٢]

نجد الكلمات: رأسي – ذلتي- نحولي- دموعي- شهودي، وكلها منتهية بالياء، وهذا التوافق أكسب البيت عذوبة وسهولة، وقد جمع الشاعر هنا شهودا أربعة تشهد له عند من محبوبه، وأحسن في ترتيبها فبدأها بالشيب، وكأنه بذلك يلمح إلى أن ما أنكره محبوبه عليه من شيب رأسه؛ إنما هو سببه في حقيقة الأمر وجوهره، ونجد تلك المقابلة في البيت الثاني بين السرور والروع، والوصال والصدود، وقد دلت تلك المقابلة بما جمعته من معن متضادة- دلت على البون الشديد بين حبه وحبها، فقد قدم كل ما يكفي من أدلة تشهد بصدق حبه وإخلاصه، أما هي فلم تقدم شيئا سوى الصدود وإدخال الروع على قلبه اللذان تسببا في شيب رأسه، ونحول جسمه، وسيلان دموعه. ثم نجد هذا الاستفهام المفيد للنفي في قوله: (أي يومٍ سررتني بوِصـــــالٍ...) وما أفاده من استقصاء الشاعر في بحثه، عله يجد يوما سر فيه بالوصال، ونجا فيه من الصدود والروع، لكن كان بحثه بلا فائدة، وكان سعيه بلا جدوى.

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه لابن وكيع، تحقيق: عمر خليفة بن إدريس، جامعة قات يونس، بنغازي، ط: الأولى، ١٩٩٤م، ص٣١٠

(٢) الديوان ص٢٠

ولنتأمل كذلك قوله:

وأوفى حياة الغابرين لصاحبٍ ... حياة أمرئ خانته بعد مشيب[١]

نجد أنه طابق في هذا البيت بين الوفاء والخيانة، على قول من قال بأن أوفى من الوفاء[٢]، وهذا الطباق أكسب البيت جرسًا ونغما، ودل على ما تتسم به الحياة من تقلب في الأحول وعدم ثباتها على حال، فهي في بعض الأحوال وفية ولكنها في الأعم الأغلب خائنة، وفي تعبيره بكلمة " الغابرين" ما يدل على أن الخيانة طبع للحياة على مر العصور واختلاف الدهور، ثم إن في تعبيره بقوله: " لصاحب" ما يدل على أن الحياة كثيرة الغدر والتنكر لأصحابها، فكيف بها إذن مع غيرهم؟! وقد اختار الشاعر التنكير على التعريف في قوله: " لصاحب" ليدل بذلك على عموم غدرها، وقد تعانقت هذه الوسائل وتآزرت لتفي بغرض الشاعر وهو تسلية ممدوحه في وفاة عبده.

وفي قوله:

وغضبى من الإدلال سكرى من الصبا ... شفعت إليها من شبابي بريِّقِ[٣]

نجد الكلمات: " غضبى، سكرى، الصبا، إليها " تلبس العبارة ثوبا من الجمال والخلابة، فجميعها تنتهي بحرف الألف، وهو من حروف المد التي

---

(١) الديوان ص٣٢٢

(٢) المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبّي لأبي العباس الأزدي المُهَلَّبي- تحقيق د/ عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض،ط: الثانية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، جـ٥/٢٠١١

(٣) الديوان ص٣٤٥

يندفع معها الهواء عند النطق بها دون أن يعوقه عائق، وحروف المد يمتد بها الصوت كما شاء، فتكتسب الكلمة بهذا المد رنينا يطرب السامع.

وريق الشباب: أوله، وفي تعبيره بريق الشباب، واتخاذه منه وسيلة وشفيعا لنيل حبها ما يدل على كلفه وهيامه بها، وما يدل كذلك على شدة جمالها، ثم أكد على هذا الجمال التي تتصف به تلك المرأة باختياره لبعض الألفاظ الدلة على ذلك فجعلها غضبى لفرط دلالها، فهي ترى من نفسها الغضب دلالا على عاشقها، ووصفها بسكر الحداثة للدلالة على صغر سنها، وتلك هي السن التي عادة ما تكون فيه المرأة في أوج جمالها وقمة حسنها.

وفي قوله:

وفتانة العينين قتالة الهوى ... إذا نفحت شيخاً روائحها شبا[1]

نجد كلمتي فتانة وقتالة، وهما على وزن واحد، وهذا الاتحاد في الوزن أدخل على الجملة نوعًا من الطرب وشيئًا من النغم، ونلاحظ كذلك هذا التضعيف في عين الكلمتين والذي يفيد المبالغة في إثبات الفتنة لعينيها، وفتكها بمن تنظر إليه أو ينظر إليها، وفي اختيار الشاعر لأداة الشرط " إذا "ما يدل على تحقق الشرط والقطع بوقوعه إذ الأصل في "إذا" أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه[2] وفي التعبير بالشيخ في قوله: (إذا نفحت شيخاً) ما يدل على أن جمالها كالسحر يحول الأشياء ويقلب الحقائق، فهو يحول الشيب إلى شباب، ويفعل بالقلوب ما يفعله السحر

([1]) الديوان ص٣٢٥

([2]) ينظر: الإيضاح للخطيب القزويني، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط: السابعة عشر١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، جـ١/١٦٩

من فتنة وقتل، وفي التعبير بـ (روائحها) مبالغة في إثبات قوة التأثير وشدة الجمال، فمجرد انتشار عطرها في المكان يوقع الفتنة في القلوب، والقتل في النفوس، ويحول الشيب إلى شباب، فكيف برؤيتها و معانقتها؟!!

ثانيًا– ملاءمة الكلمة لسياقها

كما سبق وذكرت أن المتنبي يعني باختيار الألفاظ، بحيث تلائم السياق، وتؤدى الغرض الذي سيقت من أجله ونيطت بأدائه، وهذه السمة شائعة في شعره بصفة عامة، وفي شعره عن الشباب والشيب بصفة خاصة، وهذه السمة في شعره تدل على تمكنه من اللغة وقدرته على استعمالها وتطويعها، ومن هنا جاءت مفرداته متسمة بمواءمتها للموقف الذي سيقت فيه ووردت به، بحيث إذا كان المقام يستدعي اللغة القوية الجزلة وجدت ألفاظه أشد ما تكون قوة وجزالة، وإذا كان يستدعي استخدام اللغة الرقيقة وجدت ألفاظه لينة رقيقة، وهذا بلا شك يكسب الصورة لديه لونا من الدقة والجمال. وعن تلك الملاءمة بين العبارة والموقف الذي سيقت فيه في شعر المتنبي يقول ابن الأثير " واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال، ... وذاك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى تظن الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلا"(١)

ولنتأمل على سبيل المثال قوله:

راعتْكِ رائِعـــــةُ البَياضِ بعارِضي ... ولوَ انّها الأولى لراعَ الأسْحَمُ

(١) المثل السائر، جـ٢٢٨/٣

لو كان يمكنُني سفرْتُ عنِ الصِّبا ... فالشّيبُ من قبْـلِ الأوانِ تلثُّمُ
ولقد رأيتُ الحادِثـــــاتِ فلا أرى ... يقَقاً يُميتُ ولا سَـــواداً يعصِم
والهم يخترم الجسيـــــم نحافةً ... ويشيب ناصية الصبي ويهرم[1]

فنجد البيت الأول وقد بدأ بقوله: (راعتك)، وتلك بداية تسترعي الانتباه، وتنشط العقل؛ للوقوف على أسباب هذا الفزع والروع، ثم نجد التقييد بـ " لو " في قوله: (ولوَ انّها الأولى لراعَ الأسْحَمُ) مبينا السبب الحقيقي لما أصابها من فزع، فليس ما أفزعها ظهور الشعر الأبيض بعارضه، وإنما الذي راعها وأفزعها حقيقةً هو ما يدل عليه ظهور الشيب من علو السن وتقدم العمر، واستدل على ذلك بأنه لوكان الشعر يبدأ أبيض ثم يسود، لخافت من السواد خوفها من البياض. وفي ذكره لرائعة البياض والعارض ما يدل على قلة الشيب حيث لم يظهر منه إلا أوله، ولم يظهر إلا في جانب رأسه. ورائعة البياض: أول شعرة تطلع من الشيب.

وفي البيت الثاني نلاحظ التعبير بكلمة " تلثم"، وآثر هذه الكلمة في وصف الشيب على ما عداها من نحو: ظهر أو بدا، وكأنه يشير بذلك إلى أن الشيب الذي بدا في رأسه ما هو إلا لثام لونه أبيض، فلا يعبر عن كبر السن وتقدم العمر، وهو بذلك يؤكد على ما ذكره في الشطر الأول من حداثة سنه وصباه، ولكن الشيب ستر هذا الصبا.

ونراه في البيت الثالث يعبر عن الشباب بالسواد في قوله:" ولا سوادا يعصم" في مقابلة الشيب، وكان من الممكن أن يقول: فلا أرى شيبا يميت ولا شبابا يعصم، إلا إنه آثر التعبير بالسواد؛ لينبه أيضًا إلى أنه لا يزال في عهد الشباب، إذ ربما لو قال " ولا شبابا يعصم" توهم منه أنه تخطى

(1) الديوان ص٥٧٠

مرحلة الشباب ومن ثم هو يسلي نفسه على فقده بأن الموت لربما أدرك الشباب وترك ذوي الشيب، وهو في الحقيقة لا يسلي نفسه بذلك، لأنه مازال في مرحلة الشباب، وما علا رأسه إنما هو البياض الذي يقابل السواد، وليس الشيب الذي يقابل الشباب.

وفي البيت الأخير نجده يؤثر التعبير بقوله: " يخترم " دون يصيب أو يهلك، لأن الاخترام فيه معنى التشقق والانتقاص من الشيء والقطع له[1] فالاخترام ليس مجرد إصابة الجسم، بل النفوذ فيه والقطع له، والهلاك قد يحدث بالشيء دون أن يكون في ذلك الشيء الهالك انتقاص، فقد يهلك الشيء أو يفسد دون أن ينقص منه شيء، أما الاخترام ففيه هلاك وانتقاص. ثم نجده يعبر بقوله: "الجسيم" وكان من الممكن أن يقول: يخترم الإنسان، أو الفتى، أو القوي، وإيثاره لهذا الكلمة؛ لأن أول بوادر الهم تظهر على الجسم، ثم إن الجسم هو معدن القوة والفتوة وبه قوام الإنسان، وبفنائه تفنى القوة والفتوة بل والإنسان. ثم نجده يقول: " ويشيب ناصية الصبي" كان من الممكن أيضًا أن يقول: يشيب ناصية الفتى، أو الشاب، إلا أن التعبير بالصبي أوفى بأداء المراد من غيره؛ ذلك أن الهم إذا استطاع أن يشيب الصبي الذي لا يزال في مقتبل العمر، فهو من باب أولى قادر على أن يشيب غيره.

وجمع الشاعر بين الشيب والهرم في قوله: (ويشيب ناصية الصبي ويهرم) للإشارة إلى بالغ الأثر الذي يحدثه الهم في سائر البدن، فهو لا يكتفي بإظهار الشيب في الرأس، بل إنه مع ذلك يضعف البدن.

([1]) اللسان مادة " خرم " جـ١٢/ ١٧٠

ونتأمل كذلك قوله:

ما الدَّهْرُ عِنْدَكَ إلاَّ رَوْضةٌ أُنُفُ ... يَا مَنْ شَمَائِلهُ في دَهرِهِ زَهَــرُ

ما ينتهي لك في أيامـــــه كرمٌ ... فلا انتهى لك في أعوامهِ عمرُ

فإن حظك من تكرارها شـــــرفٌ ... وحظ غيرك منها الشيبُ والكبرُ[1]

نجد أنه بدأ بتشبيه الدهر بالروضة، وتشبيه شمائل الممدوح وسجاياه بالزهور التي يزدان بها الدهر، والرياض بلا زهور لا تكون رياضا، وكذا الدهر بلا شمائل الممدوح دهر عديم الفائدة والنفع.

ثم نراه في البيت الثاني يمزج بين الخبر والإنشاء فبعد أن أثبت له الكرم المتجدد بتجدد الأيام فهو كرم غير منقطع، يختم البيت بهذا الأسلوب الإنشائي فيدعو له بتجدد العمر وعدم انقطاعه فيقول: (فلا انتهى لك في أعوامهِ عمرُ) وإذا ما ضممنا هذا الشطر إلى ما قبله نجد بينهما تعلقًا ومزواجة كالتي بين الشرط والجزاء، فكما أن كرمه ممتد ومتجدد، فكذا ينبغي أن يكافأ بتجدد العمر وطوله.

ثم نراه في البيت الثالث يقرن بين الشيب والكبر، فلم يكتف بالشيب لأنه ليس بالضرورة دالا على الكبر، فقد يشيب الإنسان وهو صغير، ولم يكتف بذكر الكبر، حتي يجمع في خصم ممدوحه بين ضعف البدن بالكبر، وقبح المنظر بالشيب، ثم إن التعبير بقوله: " وحظ غيرك" يفيد أن هذه هي عادة الأيام مع سائر البشر دونه، فهي بمرورها وتعاقبها تزيد في أعمارهم فيكبرون وتشيب رؤوسهم، أما الممدوح فإن الأيام لا تجري عادتها عليه، بل إن مرورها يزيده شرفًا إلى شرفه، دون أن تزيد من

([1]) الديوان ص٣٦٧

عمره أو تشيب من شعره. وفي هذا ما يدل على تفوق عنصره على عنصرهم، فهو مثال فريد.

وإذا تأملنا أيضًا قوله:

أولئك أحلى من حياةٍ معادة ... وأكثر ذكرا من دهور الشبائب[1]

نجد أنه بدأ البيت بالتعريف بالإشارة مؤثرا اسم الإشارة البعيد بما يفيده من تفخيم وتعظيم، كما أثر الجمع في قوله:" دهور الشبائب " على الإفراد فلم يقل: دهر الشباب، والجمع أدل على المدح وآكد من الإفراد، فهو يفيد أن ذكر الممدوح ألذ من ذكر الشباب بأيامه، وبما فيه من لهو ومرح، حتى لولم يكن شبابا واحدا بل أكثر من شباب، وحتى لو لم يكن في دهر واحد بل في دهور متعددة، إلى جانب ذلك نرى التنكير في كلمة" حياة" بما يفيده من عموم يدل على تفضيله لممدوحه على كل حياة أيا كان شأنها وعظمها.

ونرى المتنبي يقول مادحًا:

لجيادٍ يدخلن في الحرب أعرا ... ءً ويخرجن من دمٍ في جلال

واستـــعار الحديد لونا وألقى ... لونه في ذوائب الأطفـــال

أنت طوراً أمر من ناقع السم ... وطوراً أحلى من السلســال [2]

فسيوف الممدوح مستعيرة معيرة، فإن لون الذوائب وهو السواد ينتقل اليها، وذلك إن الدماء إذا جفت عليها اسودت، ولونها وهو البياض ينتقل إلى الذوائب فإنها بالروع تشيب الأطفال. والمتنبي هنا آثر أن يقول: "

(1) الديوان ص٢٢٧

(2) الديوان ص١٢٤

ذوائب الأطفال" بدلا من ذوائب الأعداء أو نحوها؛ مبالغة في وصف ممدوحه بالقوة والبأس، فهو من فرط قوته وبأسه وشدته على أعدائه يصابون بالهلع، حتي يشيب الطفل من شدة الروع والفزع، وإذا شاب الطفل من الفزع فشيب غيره أولى، وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً) [1]

وإذا ما نظرنا إلى البيتين الأولين معا نجد أن بينهما اتصالا وارتباطا، فهما يعالجان قضية واحدة، ويقصدان إلى معنى واحد وهو إثبات الشجاعة والإقدام للممدوح وجيشه، ونجد تلك المقابلة بين دخول الخيول للحرب عارية وخروجها منها وقد اكتست وغطت بالدماء، واستعارة السيوف للون الذوائب، وإلقاؤها للونها على تلك الذوائب، تلك المقابلة بين شطري البيتين جعلت المعنى أكثر وضوحًا وجلاء، فإن ذكر الشيء وما يقابله يساعد على تثبيت المعنى في الأذهان.

ولم يتوقف المتنبي عند هذا الحد من المقابلات، فنراه يلجأ في البيت الثالث إلى المقابلة بين أحوال ممدوحه، فهو تارة أمر من السم القاتل، وتارة أطيب من الماء العذب السائغ، وهو يحاول بهذه المقابلة أن يكشف عن مزاجه المتقلب، ونفسه المتغيرة، أو أنه يريد أن يثبت له الرفق واللين مع أوليائه، والشدة على أعدائه.

ونرى المتنبي يدلل على شدة وفائه لمن يحب وإلفه به مستخدمًا الشيب كدليل على ذلك فيقول:

وللنّفس أخلاقٌ تدلّ على الفتى ... أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا
أقــلّ اشتيــاقاً أيّها القلب ربّما ... رأيتك تصفي الودّ من ليس جازيا

([1]) سورة المزمل، الآية: ١٧

خلقت ألوفا لو رجعت إلى الصبا ... لفارقت شيبي موجع القلب باكيا[١]

والبيت الثالث – كما ذكروا – رأس في صحة الإلف، وذلك أن كل أحد يتمنى مفارقة الشيب، وهو يقول: لو فارقت شيبي إلى الصبا لبكيت عليه لإلفي إياه إذ خلقت ألوفا [٢]

ونلاحظ هنا أن المتنبي لم يكتف بذكر التوجع أو البكاء على مفارقة الشيب، فكان يكفيه أن يقول: لفارقت شيبي باكيا، وإنما قرن بينهما ليؤكد بذلك على ما ذكره في صدر البيت من كونه قد خلق ألوفًا، وفي التعبير بقوله: (خلقت) ما يشير إلى أن الإلف جبلة فيه، وسجية طبع عليها، ولو حاول نزعها من نفسه لما أمكنه ذلك لأنها من طباعه "وتأبى الطباع على الناقل" وإذا كان هذا شأنه مع الشيب وهو مبغض للنفوس مكروه، فكيف به مع ما هو محبوب للنفوس ومألوف لديها ؟!

والبيت دليل على أنه لمن فارق ذام؛ لأنه جعله كالشيب. وقال: لو فارقت الشيب الذي هو ذميم برحيلٍ إلى الصبا الذي هو أفضل حياة الإنسان؛ لكان ذلك الفراق موجعاً للقلب مبكياً للعين. [٣]

ولو حاولنا الربط بين هذا البيت والبيتين قبله لوجدناه كالسبب لهما، فهو يحاول انتزاع هذا الحب والشوق الذي أضر به إلا أنه لا يستطيع؛

---

(١) الديوان، ص٤٤٢

(٢) شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقا/إبراهيم الإبياري/عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، جـ٤/٢٨٥

(٣) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ص١٤٦٥

لأنه خلق ألوفا، وألفه للأشياء ولو كانت مضرة طبع من طباعه وخلق من أخلاقه.

وبين البيت الأول والثالث علاقة وطيدة ومناسبة قوية، فالبيت الأول يشير إلى أن الطباع والأخلاق يولد بها الإنسان ويصعب عليه اكتسابها، فشتان بين من طبعه السخاء ومن يتصنع السخاء، وفي البيت الثالث يشير إلى أن إلف الأشياء من طباعه، ويفهم من هذا بمفهوم المخالفة أن أولئك الذين يحن إليهم ويشتاق لرؤيتهم ليس من طباعهم الإلف وإنما يتصنعونه.

وخلاصة القول: أن المتنبي كان يتعامل في رسم لوحاته الشعرية مع كلمات اللغة . كان يشكلها تشكيلا فنيا مذهلا لا يتأتى إلا لفنان موهوب يملك ناصية اللغة، ويعرف كل مفرداتها ويتفهم دلالاتها المختلفة.[1]

(1) في عالم المتنبي د/ عبد العزيز الدسوقي، دار الشروق، ط: الثانية ١٤٠٨ه ١٩٨٨م، ص٢٤

المبحث الثاني: خصائص الجملة.

كان الحديث فيما مضى عن اللفظة المفردة من حيث دقتها وملاءمتها للسياق الذي وردت به، ووفاؤها بالغرض الذي سيقت من أجله، وينبغي أن نضع في الاعتبار أن المفردات لا يفهم منها سوى معانيها اللغوية التي وضعت لها، ولكي تفيد معنى تامًا لابد من ترابطها وضم بعضها إلى بعض، وصياغتها في تراكيب مفيدة ونظم معبر، وهذا الترابط وذلك الضم وتلك الصياغة هو ما أطلق عليه البلاغيون اسم" الإسناد"، وعرفوه بأنه: ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى، على وجه يفيد أن مفهوم أحدهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه.[١]

لذا كان لابد من الحديث عن الجملة وخصائصها وبلاغتها في شعر الشباب والمشيب عند المتنبي، والجملة على ضربين: أما أن تكون خبرية، وإما أن تكون إنشائية، ووجه الحصر في ذلك أن الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، سمي كلامًا خبريًا، وإن كان بخلاف ذلك، أي: لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا، بحيث لا يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق به، سمي كلامًا إنشائيًا. [٢]

---

[١]) ينظر: شرح السعد (ضمن شروح التلخيص) دار إحياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي، جـ١/ ١٩٠،١٩١

[٢]) ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي للأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط:الخامسة٢٠٠١م، ص١٣

يقول ابن قتيبة (ت ٢٧٦) " والكلام أربعة: أمر وخبر واستخبار ورغبة، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي: الأمر والاستخبار والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر" [١].

الخبر والإنشاء ودورهما في إبراز المعاني عند المتنبي

بالنظر في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب نلاحظ أنه استعمل الجملة الخبرية والإنشائية على حد سواء، وعادة ما يمزج بين الخبر والإنشاء؛ لأن لكل منهما دورا في إيضاح المعنى وتأدية الغرض، وتغلب على الجملة الخبرية والإنشائية عنده سمة التحسر والتوجع والضجر، فكثيرا ما يتحسر على شبابه الضائع وعمره المنصرم، ويتوجع من الشيب ويتضجر منه، وكثيرا ما نراه يلتمس أية وسيلة ويتعلق بأي سبب لإظهار فائدة المشيب، ومن وجهة نظري إن التماسه لهذه الوسائل، وتعلقه بتلك الأسباب، ليس إلا تأكيدا على بغضه للشيب وتوجعه منه، لذا فهو يحاول التعايش معه، باعتباره أمرا واقعا لا مناص ولا أمل له في الخلاص منه، وتلك عادة النفس البشرية، وليست عادة تفرد بها المتنبي، فالنفس إن منيت بمكروه واجهته في بادئ الأمر بالرفض والإنكار له، والجزع منه، ثم حاولت بعد ذلك دفعه بما تسنى لها من وسائل وأدوات، فإن تمكنت من دفعه وإلا تعايشت وتكيفت معه، بل ليس ذلك من عادة البشر فحسب، بل من عادة سائر الكائنات الحية، وفي شعر المتنبي عن الشباب والمشيب نجد هذا الأمر واضحًا غاية الوضوح، وممثلا في شعره خير تمثيل، فنجد حالة الرفض والإنكار ظاهرة في نحو قوله:

---

[١]) أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط: الرابعة ١٩٦٣م، ص٤

ضيفٌ ألم براسي غير محتشمِ ... والسيفُ أحسنُ فعلاً منه باللمم[1]

نلاحظ التوجع من الشيب، والتضجر منه، والرفض والإنكار له قد بلغ أقصاه، ووصل إلى منتهاه، فالمتنبي كما هو واضح متألم غاية الألم، إنه ألم يفوق الضرب بالسيف وشج الرأس، والجملة الخبرية مفيدة للتوجع من ظهور الشيب بالرأس، الذي هو أمارة الضعف، وعلامة على قرب الأجل.

ونجد هذا التوجع والجزع أيضًا في قوله:

ولقد بكيتُ على الشبابِ ولمتي ... مســـــودةٌ ولماءِ وجهي رونقُ

حذراً عليه قبلَ يومِ فراقـــــــــهِ ... حتى لكدتُ بماءِ جفني أشرقُ[2]

إن المتنبي هنا يتحسر على الشباب، وهو لا يزال شابًا: مسود اللمة ناضر الوجه؛ وما ذلك إلا خوفا من توليه، الأمر الذي جعله يسبل الدمع بل ويشرق به، فهو – كما ترى – يرفض الشيب قبل وقوع، وينكره قبل نزوله، ويبكي على الشباب قبل توليه وفراقه، والخبر –كما هو واضح– مفيد للتحسر والجزع، وقد تعاونت المفردات فيما بينها لتفي بهذا الغرض، ولتؤدي هذا المعنى، فنجد التعبير بقوله: بكيت، وحذرا، وفراقه، وأشرق، وكلها تدل على ما بداخله من أرق وحزن، وتتوافق مع ما بدأت به القصيدة، فقد بدأها بقوله:

أرقٌ على أرقٍ ومثلي يــأرق ... وجوىً يزيد وعبرةٌ تترقرق

جهد الصبابة أن تكون كما أرى... عينٌ مسهدةٌ وقلبٌ يخفق

ونجد هذا الرفض والجزع كذلك في قوله:

---

(1) الديوان ص٢٠

(2) ديوان المتنبي ص٢٩

متى لحظت بياض الشيب عيني ... فقد وجدته منها في السواد[1]

فساوى بين الشيب والعمى، فهو يكره الشيب كراهته للعمى، ويرى أن بياض الشيب كبياض العين يقعد صحبه عن نيل مبتغاه.

وعلى الرغم من أن مصائب الحياة أكثر من فوائدها، ومحنها أكثر من منحها، ورزاياها أشد من عطاياها، إلا أن النفوس جبلت على حبها والتمسك بها، وإذا ما رأيت شيخًا متضجرا منها أو متململا بها، فلا تظن أنه مبغض للحياة، وإنما هو في حقيقة الأمر كاره لما أصابه فيها من ضعف، ولما بدا عليه من أمارات تؤذن بمفارقة الحياة

وإذا الشيخ قال أف فما م ... ل حيوةً وإنما الضعف ملا

آلةُ العيش صحة وشباب ... فإذا وليـــا عن المرء ولى

أبداً تسترد ما تهب الدن ... يا فيا ليت جودها كان بخلا [2]

فإذا ضجر الشيخ فقال أف، فإن ذلك الضجر والملال من ضعف الكبر لا من الحياة؛ ذلك أن العيش إنما يحلو ويطيب بالشباب وصحة البدن، فإذا لم يكن في العيش صحة وشباب فسد العيش وولى بذهابهما، ولكن من عادة الدنيا أن تعود على ما تهب فتأخذه، فإن هي وهبت الشباب والصحة سرعان ما تسترد هبتها، ولذا تمنى بخلها وعدم جودها؛ إذ الحرمان بعد العطاء أشد على النفس من الحرمان من أول الأمر.

فالأبيات الثلاثة جمل خبرية، ما عدا الشطر الأخير من البيت الثالث، فإنه من قبيل الإنشاء، وهذه الأخبار كلها مقصود بها التأكيد على حب الناس للدنيا مع غدرها بهم وإعراضها عنهم، وأما التمني الذي ختمت

(1) الديوان ص٨٥

(2) الديوان ص٤٠٧

به الأبيات فإن فيه معنى الأسى والحزن، وفي التعبير بالمضارع في قوله: تسترد و تهب ما يوحي بتجدد هذين الأمرين منها وكثرة حدوثهما، حتى صارا طبعا لها وعادة من عاداتها، وفي بدأ الشاعر للبيت بقوله: (أبداً) ما يفيد أن هذا الطبع وتلك العادة تجريها الدنيا مع سائر البشر دون أن تستثني منهم أحدا، وفيه كذلك تنبيه على غفلة الناس لتعلقهم بها مع أن هذا طبعها وعادتها، بالإضافة إلى ذلك فبين قوله: تهب وتسترد، وجودها وبخلا، طباق بالتضاد أرد من خلاله المتنبي أن يظهر هذا التناقض الذي هو من أشد خصائص الدنيا.

وبعد أن جزع المتنبي من الشيب ورفضه، لم يجد بدًا من التكيف والتعايش معه، إذ لا سبيل إلى التخلص منه، فنراه يقول:

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبهِ ... ولو أن ما في الوجه منه حرابُ
لها ظفر إن كل ظفـــر أعـــــدهُ ... ونـاب إذا لم يبق في الفم نابُ
يغير مني الدهر ما شـــاء غيرها ... وأبلغ أقصى العمر وهي كعابُ[1]

وهذا تمسك من المتنبي بالحياة، ومظهر من مظاهر حبه لها، وتمسك بالمبدأ الذي أخذ به نفسه، وهو مبدأ الاعتداد بالنفس وحب القوة، فهو لا يرضى لنفسه بالضعف وإن بدت أماراته وظهرت علامته، ولكنه يبحث عما عساه يكمن في هذا الضعف من قوة، سواء كانت هذه القوة تتمثل فيما يحمله الشيب من وقار واحترام، أو كانت فيما تحمله نفسه من شباب لا يشيب، فالجمل الخبرية هنا مقصود بها إظهار قوة العزم، وعلو الهمة، ورباطة الجأش، وقد تعاضدت المفردات والجمل لتؤدي هذا المعنى وتظهره في أجمل صورة، وعلى أكمل وجه، فنراه يشبه الشيب الذي يظهر

(1) ديوان المتنبي ص٤٧٨

في الوجه بالحراب، وفي هذا ما يدل على شدة الألم الذي يحدثه الشيب، إلا أن هذا الألم لا يؤثر فيه؛ فإن له نفسا لا ينال منها الشيب، ثم أثبت لنفسه ظفرا ونابا وذلك على سبيل الاستعارة، فصورها في صورة السبع المفترس، وكأنه يريد أن ينبه بذلك على أن الشيب إن أراد أن يصيبه بحرابه افترسته نفسه بأنيابها وأثرت فيه بأظفارها، لكن ما يؤخذ عليه هنا أنه أثبت للشيب حرابا، وأثبت لنفسه أظفارا، والأظفار لا شك أضعف من الحراب.

ونلاحظ هذا التكيف مع الشيب والتعايش معه في قوله:

مشبّ الّذي يبكي الشّباب مشيبه ... فكيف توقّيه وبانيه هادمه؟!

وتكملة العيش الصبا وعُقيبه ... وغائب لون العارضين وقادمُه

وما خضب الناس البياض لأنه ... قبيح ولكن أحسن الشعر فاحمه[1]

فالأخبار هنا مقصود بها تسلية النفس، خاصة وأن سبب الشباب هو بعينه سبب الشيب، ومن ثم لا يمكن بحال توقيه، ونجد هذا الأسلوب الإنشائي والمتمثل في الاستفهام التعجبي في قوله: (فكيف توقّيه وبانيه هادمه؟!) وهذا الاستفهام على ما فيه من تعجب، فإنه مظهر للعجز، ومبين للضعف الذي يعتري البشر تجاه الدهر، فالدهر هو اليد التي تبني، وهو في الوقت ذاته المعول الذي يهدم، وإذا كان الأمر كذلك فالأجدر بالنفس ألا تعاند الدهر، والمتنبي كعادته يلجأ إلى طباق التضاد، فبضدها تتميز الأشياء، فطابق بين مشب ومشيبه، وبين أبيض وفاحم، وبين قبيح وأحسن، وبين بانيه وهادمه، وبين غائب وقادمه، وكل هذا الطباقات أظهرت تناقضات الحياة وتغير أحوالها بين شباب وشيب، وحسن

(1) الديوان ص٢٥٧، ٢٥٨

وقبح إلخ، ثم يختم المتنبي بأسلوب القصر فنفى أن يكون الناس قد استعملوا الخضاب في الشيب لاستقباحهم للبياض، ولكن لأن السواد أحسن منه في العين، وقد تضافر هذا القصر مع ما سبقه من أساليب للتأكيد على ما قصده الشاعر من أن العبرة ليست ببياض الشعر أو سواده، وإنما العبرة بعلو الهمة، فالسواد والبياض لا يعدو أن يكون مجرد لون، وهو بذلك يحاول أن يجد لنفسه مبررا لترضى بالشيب وتأنس به.

ونلاحظه كذلك في قوله:

منىً كُنَّ لي أَنَّ البَيَاضَ خِضَـابُ ... فِيَخْفَى بِتَبييضِ القُرونِ شَبَـــابُ
لَيَالِيَ عِنْدَ البِيْضِ فَوْادَيَ فِتْنَـــةٌ ... وَفَخْرٌ وذَاكَ الفَخْرُ عِنْدِي عَـــابُ
فَكَيْفَ أَذُمُّ اليَوْمَ ما كُنْتُ أَشْتَهِـي ... وَأَدْعُو بِما أَشْكُوهُ حِيْنَ أجَـــابُ[1]

وقد ختم المتنبي هذه الأبيات باستفهام تعجبي، فهو يتعجب من نفسه كيف كانت تتمنى الشيب وتشتهيه؛ لما فيه من وقار، فلما أدركها، ولبى نداءها، وأجاب أمنيتها، إذا بها تتململ منه، وتجزع لنزوله. وقد كشف لنا هذا الاستفهام عن تلك الحيرة التي كانت تنتابه تجاه الشيب، كما يكشف لنا عن نفسه المترددة بين حب الشيب بما فيه من وقار وهيبة، وحب الشباب بما فيه من جمال وقوة .

ثم يستسلم المتنبي أخيرا للشيب، ويحاول التماس الأسباب والوسائل لتفضيل الشيب على الشباب فيقول:

والمرءُ يأملُ والحياةُ شهيةٌ ... والشيبُ أوقرُ والشبيبةُ أنزقُ[2]

(1) الديوان ص٤٧٨
(2) ديوان المتنبي ص٢٨

فهو هنا أيضًا يسلي نفسه، ويرى أن للشيب فوائد للمرء لا تتوفر له في الشباب، وهذا – من وجهة نظري– استسلام من المتنبي للشيب، وكيف لا يستسلم له وسيفه قاطع ونصله حاد؟ فالجملة الخبرية مقصود بها تسلية النفس، وهذا البيت من قصيدة قالها في صباه، وهو هنا يفضل الشيب على الشباب وكأنه يتمناه، ولجأ إلى المقابلة بين قوله: (والشيب أوقر) وقوله: (والشبيبة أنزق) لتظهر أوجه المفاضلة، ولتكون كالدليل على ما يدعيه من تفضيل للشيب على الشباب، فتأنس له نفسه وترضى به.

وأفعل بمعنى الفاعل، لا بمعنى المبالغة، والكلام على حذف مضاف إذ التقدير: صاحب الشيب، وصاحب الشبيبة، وقيل: أراد به أفعل للمبالغة، وعليه لا حذف في الكلام. [1]

وعبر بالمضارع في قوله: (يأمل) لإفادة تجدد الأمل واستمراره، فالإنسان قد ييأس، لكن سرعان ما يعاوده الأمل، ويتجدد لديه النشاط.

والشهية: المشتهاة، فهي فعيلة بمعنى مفعولة [2] **وفي إسناد الشهوة للحياة مبالغة في إثبات شهواتها وملذاتها، كما في إسناد الرضا للعيشة.**

ومما يدل على براعة المتنبي وتفوقه أنه جمع في هذا البيت أربعة أمثال، فأتى بمثلين في كل شطر [3]

وكثيرا ما يمزج المتنبي بين الخبر والإنشاء ، فنجد المزج بين الخبر والدعاء في قوله:

---

(1) ينظر: شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري "معجز أحمد" تحقيق د/ عبد المجيد دياب، دار المعارف، ط: الثانية ١٤١٣ه ١٩٩٢م، جـ١/١٠٦

(2) ينظر: معجز أحمد، جـ١/١٠٥

(3) ينظر: العمدة، جـ١/٢٨٤

ما الدَّهْرُ عِنْدَكَ إلاَّ رَوْضةُ أُنُفُ ... يَا مَنْ شَمَائِلهُ في دَهرِهِ زَهَـــرُ
ما ينتهي لك في أيامـــــه كرمٌ ... فلا انتهى لك في أعوامهِ عمرُ
فإن حظك من تكرارها شـــــرفٌ ... وحظ غيرك منها الشيبُ والكبرُ[1]

فتلك جمل خبرية يرسم بها المتنبي صورة لممدوحه تميزه عما عداه، ويلبسه من الصفات ما ينفرد به عن غيره، الأمر الذي جعل الأيام لا تجري عادتها عليه بالشيب أو الكبر، وما ذلك إلا لكونه نموذجا فريدا وعنصرا فذا، و توسط الإنشاء بين تلك الأخبار فجاء مكملا للصورة، والجملة الإنشائية وهي قوله: (فلا انتهى لك في أعوامهِ عمرُ) دعائية، تشعرك بأن هذا الدعاء لا يردده المتنبي وحده، بل يردده معه الدهر والأيام؛ لأن الدهر اكتسى بشمائله، والأيام سعدت به وبكريم خصاله.

ونجد المزج بين الخبر والاستفهام في قوله:

مشب الذي يبكي الشباب مشيبه ... فكيف توقيه وبانيه هادمه [2]

وهذا البيت قد سبق تحليله، فبدأ المتنبي بالجملة الخبرية والتي بين من خلالها أن الحزن على تولي الشباب لا فائدة منه، فمرور الزمان هو الذي أوجد الشباب، ومروره كذلك هو من ذهب بالشباب ليحل محله الشيب، وعليه فالخبر مقصود به تسلية النفس وحثها على الصبر، ثم ختم البيت باستفهام تعجبي فيه كذلك تسلية للنفس وترويح عنها، إذ كيف يمكنها توقي الشيب والزمن الذي يقوم بالبناء هو من يقوم بالهدم، ومن أوجد الشباب هو بعينه من أوجد الشيب.

ونجد المزج بين الخبر والاستفهام كذلك في قوله:

(1) الديوان ص٣٦٧
(2) الديوان ص٢٥٧

شيبُ رأسي وذلتي ونحولي ... ودموعي على هواك شهودي

أي يومٍ سررتني بوِصـــالٍ ... لم ترعنـــــي ثلاثةً بصدودِ[1]

فالبيت الأول جملة خبرية مراد بها إظهار الخضوع والذل للمحبوب، وفي هذا ما يدل على فرط الهوى وصدق المحبة.

ثم بدأ البيت الثاني بـ " أي" الاستفهامية، والاستفهام هنا مراد به النفي، كَقَوْلِك لمن ادّعى أَنه أكرمك: أَي يَوْم أكرمتني، وَالْمعْنَى: مَا سررتني يَوْمًا بوصالك إِلَّا روعتني ثَلَاثَة بصدودك، ولا يصحّ حمل «أيّ» على معنى الشرط؛ لأن فى ذلك مناقضة للمعنى الذى أراده الشاعر، إذ لو كانت شرطية لكان المعنى: إن سررتنى يوما بوصالك أمّنتنى ثلاثة أيام من صدودك، وهذا عكس مراده في البيت.[2]

ونجد المزج بين الخبر والتمني في قوله:

لو كان يمكنني سفرت عن الصبا ... فالشيب من قبل الأوان تلثم[3]

فـ " لو " في أول البيت مفيدة للتمني، ومشعرة بعزة المطلوب وعدم الطمع في وقوعه، فعودة الشعر الأسود بعد انتشار الشيب فيه، مما لا يرجى حصوله. ثم الشطر الثاني من البيت جملة خبرية نابضة بالحزن والأسى.

أسلوب القصر

ويلجأ المتنبي في شعره عن الشباب والمشيب إلى استعمال بعض الأساليب التي تمكنه من رسم الصورة وتقرير المعنى، فمن الأساليب التي

---

(1) الديوان ص٢٠

(2) ينظر: أمالي ابن الشجري جـ١/١١٦

(3) الديوان ص٥٧٠

استخدمها في بناء جمله، أسلوب القصر، وطريق القصر الغالب على شعره في الشباب والمشيب، هو طريق العطف بلكن، بما يختص به هذا الطريق من نص على المثبت والمنفي معا، فيتأكد بذلك المعنى ويستقر في النفس.

وطريق العطف يتميز بالأناة والمهل وبطء الإيقاع وإثارة التعقل الرزين، تثبيتا للمعنى ونقشًا للصورة في القلب، لأنه غالبا أمر خطير جليل[١]

نجد ذلك في قوله:

وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى ... ولكن بأيامٍ أشبن النواصيا[٢]

فنفى عنه أولا إدراك الملك بالتمني والاتفاق والمصادفة، ثم أثبت له إدراك الملك بالسعي والجهد والوقائع الشديدة التي تشيب نواصي الأعداء، فالممدوح لم يدرك الملك بالتمني، وإنما أدركه بمقاساة الأمور العظيمة، ومعاناة الخطوب الشديدة، ومباشرة الحروب التي تشيب بهولها رءوس الأطفال. [٣]

والقصر هنا يجوز أن يحمل على القلب، وذلك في حق من ظن أن الممدوح أدرك الملك بالمصادفة دون سعي منه أو تعب في نيله، ويجوز أن يكون القصر هنا قصر إفراد، فيكون ردا على من ظن أنه أدرك الملك بهما معا.

---

(١) أساليب القصر في القرآن الكريم، د/ صبّاح عبيد دراز، ط:الأولى١٤٠٦ه ١٩٨٦م ص٢٥٣

(٢) الديوان ص٤٤٤

(٣) ينظر: معجز أحمد جـ٢٨/٤

وقد استطاع القصر هنا أن يؤدي وظيفته، وأن يحقق الغرض الخاص لهذا البيت، والغرض العام للقصيدة، فأما تحقيقيه للغرض الخاص فبإثباته للممدوح قوة العزم، وشدة البأس، وحسن التدبير، وسداد الرأي، والإقدام على المخاطر، في سبيل تحقيق هذا المجد الذي وصل إليه والملك الذي أدركه، وأن هذا المجد والملك لم يكن وليد المصادفة أو الاتفاق، وأما تحقيقه للغرض العام فإنه أفاد أن تلك الصفات التي خلعها عليه المتنبي من أول القصيدة إلى نهايتها هو جدير بها ومستحق لها؛ لأنه لا يتعلق بالأماني وينتظر تحققها، بل يلقي بنفسه في المهالك حتى يحققها. ومن هنا فإن هذا البيت يعد –من وجهة نظري– مركز القصيدة، فالأبيات قبله كالمقدمة له، والأبيات بعده كالشواهد والأدلة عليه.

ومن ذلك أيضًا قوله:

وما خضب الناس البياض لأنه ... قبيح ولكن أحسن الشعر فاحمه[1]

ففي البيت قصر، وطريقه العطف بلكن، حيث نفى أولا أن يكون الناس قد استعملوا الخضاب في الشيب لاستقباحهم للبياض، ولكن لأن السواد أحسن منه، فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لوني الشعر، والقصر هنا قصر قلب؛ إذا الغالب أن المخاطب معتقد استقباح الناس لبياض الشيب وحبهم للسواد، فقلب الشاعر هذا الأمر مبينا أن الخضاب ليس لاستقباح البياض، وإنما لكون السواد أجمل في العين منه، وقد تناولت هذا البيت بالتحليل فيما سبق فلا داعي لإعادة القول فيه.

ونجد القصر بإنما في قوله:

(1) الديوان ص٢٥٧، ٢٥٨

ولَذيذُ الحَياةِ أنْفَسُ في النَّفْ ... سِ وأشْهَى مِنْ أنْ يُمَلَّ وأحْلَى
وإذا الشَّيْخُ قالَ أُفٍّ فما مـلَّ ... حَيـــــــاةً وإنّما الضَّعْفَ مَلاّ [1]

فقصر السأمة والملل على الضعف، و قد استعمل هنا طريق القصر " إنما" وفي الكلام تقديم وتأخير، حيث قدم المفعول على الفعل؛ ليفيد من أول الأمر أن سبب الملل والضجر هو الضعف وليس طول الحياة، وعلى الرغم من أن طريق القصر بـ " إنما " يفيد إثبات الحكم للشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة، إلا أن المتنبي آثر ذكر الجملتين فقال: فما مل حياة وإنما الضعف مل، وكان يكفي أن يقول : وإذا الشيخ قال أف فإنما الضعف مل، ولكن في ذكره للجملة المنفية مزيد تأكيد وتقرير للمعنى، ثم استعمل التنكير في قوله: " حياة " ليفيد أن الإنسان وإن بلغ من العمر أرذله، إلا أنه محب للحياة أيًا كان نوعها، وإن كانت في غاية الحقارة؛ لأنه جبل على حبها، والقصر هنا جاء مؤكدا للحكم الذي أطلقه في البيت الأول من أن للحياة لذة هي أنفس من أن تمل، وقد تضافرت كل كلمات البيت لإثبات هذا الحكم، فانظر إلى هذا الحشد الذي حشده ليدلل على حكمه، فقد جمع بين الكلمات: " ألذ وأنفس وأحلى وأشهى"، ثم افترض في البيت الثاني اعتراضًا على الحكم الذي اثبته، ثم رد على هذا الاعتراض المحتمل بأسلوب القصر، وبذا يثبت الحكم الذي حكم به من أبلغ طريق.

ومن شواهد القصر بإنما قوله:

انعم ولذ فللأمـــــور أواخـــــر... أبداً إذا كانت لهـــــن أوائل
ما دمت من أرب الحسان فإنما ... ظل الشباب عليك ظلٌ زائلُ

(1) الديوان ص٤٠٧

للهـــو آونـــــــة تمـر كأنـها ... قبل يزودها حبيـــب راحل [١]

فهذه الأبيات – كما هو واضح – تؤكد على معنى واحد هو: سرعة انقضاء أيام الشباب بما فيه من متعة ولهو، ولذا فالأولى بالإنسان أن ينعم بتلك الأيام وأن يغتنم ما فيها من لذة، وجاء القصر في قوله: (فإنما ظل الشباب عليك ظلٌ زائلُ) فأكد به على ما ذكره في البيت الأول، فقصر الشباب على الزوال، فهو لا محالة منتهي ولا شك زائل، والقصر هنا متضمن في ثناياه للتشبيه، ففيه تشبيه للشباب بالظل الزائل الذي لا يبقى، وإلى جانب هذا التشبيه نجد كذلك في البيت الأخير تشبيهًا لوقت اللهو، وهو وقت الشباب، بقبل الحبيب الراحل.

وهو يعني بذلك أن أوقات السرور سريعة المرور، كأنها قبل أحباءٍ في وقت الارتحال، في اللذة وسرعة الزوال. [٢]

ونجد الجناس بين كلمتي ظل فالأولى منهما بمعنى أول الشباب، والثانية ظل الأشياء، وقد تعاون القصر مع التشبيه والجناس في إبراز المعنى، فالتشبيه جعل المعنى أكثر وضوحا بتصويره بما هو مشاهد ملموس، والقصر جعله أكثر تأكيدا، والجناس أضفى على الألفاظ عذوبة، وزاد المعنى كذلك تأكيدا، ذلك أن الذهن لا شك سيفكر في الظلين والمقصود بكل منهما فيعلق المعنى في النفس.

فهو على حد قول الإمام عبد القاهر معلقا على قول الشاعر:

ناظراه فيما جَنَى ناظِراهُ ... أو دَعَاني أَمُتْ بما أودعاني

---

(١) الديوان ص١٧٨

(٢) معجز أحمد، جـ٢/٢٧٦

" قد أعادَ عليكَ اللفظةَ كأنَّه يَخدَعُكَ عَنِ الفائدة وقد أعطاها، ويُوهِمُكَ أنه لم يَزِدْك وقد أحْسَن الزيادةَ ووفَّاها. " [١]

ونجد القصر بطريق التقديم في قوله:

بحبِّ قاتلتي والشيــبِ تعذيبي ... هواي طفلاً وشيبي بالــغ الحلمِ[٢]

فقصر تعذيبه على الحب والشيب، وفي هذا ما يدل على انشغاله بهذين الأمرين، وقد بين في الشطر الثاني سبب هذا الانشغال بأنه أحب طفلا وشاب غلاما، فكلا الأمرين: الشيب والحب أصابه في غير وقته، ونزل به في غير موعده، فأثَّرا في نفسه وسائر بدنه أشد الأثر، كأثر العذاب في البدن.

والشطر الثاني تفصيل لما أجمله في الشطر الأول، لأنه بيّن به وقت المحبة ووقت الشّيب.[٣]

وإذا كان القصر في البيت قد أفاد تأكيد المعنى، فإن التفصيل بعد الإجمال زاده تأكيدا، ولا يخفى ما للبيان والتفصيل بعد الإجمال من وقع في النفس؛ فإن المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام، تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يَرِد بعد ذلك، فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم[٤]

ومن شواهد القصر بتعريف الطرفين قوله:

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، تحقيق الأستاذ: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٥٢٣

(٢) الديوان ص٢٠

(٣) ينظر: أمالي ابن الشجري، جـ١/١٠٥

(٤) بغية الإيضاح جـ٢/٣٤٦

اذا كان الشباب السكر والشي ... ب هما فالحياة هي الحمام[1]

فقصر في الشطر الثاني الحياة على الحمام، والحمام: الموت، وضمير الفصل لإفادة التأكيد، وإنما يفيد التأكيد إذا حصل التخصيص بغيره بأن تكون الجملة معرّفة الطرفين مثلا.[2]

ومراد الشاعر: أن الإنسان إذا كان حال شبابه كالسكران، لجهله وغفلته. وفي حال المشيب في الحزن والهم والأسقام! فالحياة هي الموت في الحقيقة، إذ ليس له فيها راحة، فلا فرق بين حياته وموته، وفي هذا تنبيه وحث على ترك الغفلة، والنهوض لمعالي الأمور، في حال الشباب[3]

<u>التقديم والتأخير</u>

ومن الوسائل التي استعملها المتنبي في بناء جمله التقديم والتأخير، ويعد هذا الباب من أهم أبواب علم البلاغة، وأوسعها تصرفًا، وأكثرها فائدة، وهو من أهم الظواهر اللغوية التي أكسبت اللغة مرونتها وطواعيتها، فهو يسمح للمتكلم أن يتحرك بحرية متخطيًا الرتب المحفوظة، ولما أدرك البلاغيون أهمية هذه الظاهرة أولوها عنايتهم، ويعد سيبويه (ت١٨٠هـ) أول من تكلم فيها ونقب عن أسرارها، فهو يذكر في ثنايا حديثه عن الفاعل الذي يتعدى فعله إلى مفعول، نحو: ضرب عبدُالله زيدًا، يذكر: أنه يجوز تقديم المفعول وتأخير الفاعل، ويكون المعنى واحد، إلا

---

(١) الديوان ص١٠٢

(٢) بغية الإيضاح جـ١/١٠٧

(٣) معجز أحمد، جـ١/٣٦١

أن هذا التقديم يفيد أهمية هذا المقدم، لأنهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم [١]

وعن القيمة البلاغية للتقديم والتأخير يقول الإمام عبد القاهر: " هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقَكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان. " [٢]

ومن شوهد التقديم في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب قوله:

ولقد بكيتُ على الشبابِ ولمتي ... مســـودةٌ ولماءِ وجهي رونقُ

حذراً عليه قبلَ يومِ فراقـــــــهِ ... حتى لكدتُ بماءِ جفني أشرقُ[٣]

حيث نجد في الشطر الثاني من البيت الثاني تقديما للجار والمجرور على الفعل في قوله: " بماء جفني أشرق " والأصل أن يقول: حتى لكدت أشرق بماء جفني، لكنه لجأ إلى تقديم المعمول على العامل للمحافظة على القافية، إذ لو جاء الكلام على أصله لاختلت القافية، ولذهبت طلاوة الكلام، بالإضافة إلى ذلك فإنه من المستغرب أن يشرق الإنسان بدمعه، فقدمه لغرابته، وعبر عن الدمع بالماء للدلالة على غزارته وكثرته، وفي هذا ما يدل على شدة الألم ولواعج الحسرة التي تنطوي عليها نفسه؛ خوفا من مفارقة الشباب وذهابه.

---

[١]) ينظر: الكتاب لسيبويه تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، جـ٣٤/١

(٢) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، ص ١٠٦

(٣) ديوان المتنبي، ص٢٩

ونجد التقديم والتأخير كذلك في قوله:

متى لحظت بياض الشيب عيني ... فقد وجدته منها في السواد[١]

حيث قدم المفعول على الفاعل، إذ الأصل أن يقول: متى لحظت عيني بياض الشيب، لكن تقديم المفعول هنا يفيد أن أمر الشيب وبياض الشعر كان يؤرقه، وكان على ذكر دائم منه، ثم إن في تصديره للبيت بقوله: " لحظت " ما يغني عن ذكر العين إذ الملاحظة لا تكون إلا بها، ولذا أخرها في الذكر لكونها معلومة بالضرورة.

ونجد التقديم والتأخير كذلك في قوله:

وفتانة العينين قتالة الهوى ... إذا نفحت شيخاً روائحها شبا [٢]

حيث قدم المفعول على الفاعل في قوله: " إذا نفحت شيخاً روائحها شبا" والأصل أن يقول: إذا نفحت روائحها شيخا شبا، لكن لما كان هذا الأمر – وهو تحول الشيخوخة إلى شباب– غريبا عجيبا، ويدعو إلى الدهشة، قدم المفعول على الفاعل للتنبيه على غرابته والتعجب من شأنه.

ومن صور التقديم والتأخير أيضا قوله:

أتى الزمان بنوه في شبيبته ... فسرهم وأتيناه على الهرم[٣]

فقدم المفعول على الفاعل في قوله: " أتى الزمان بنوه " مراعاة للضرورة اللغوية المقتضية لهذا التقديم، وذلك حتى لا يعود الضمير على متأخر في اللفظ والرتبة. بالإضافة إلى ذلك فإن التقديم يشعر بإسراع

---

(١) الديوان ص٨٥

(٢) الديوان ص٣٢٥

(٣) الديوان ص٤٩٨

الزمان إليهم، ونزوله على رغبتهم، وفي البيت كذلك إيجاز بالحذف إذ التقدير: وأتيناه على الهرم فساءنا، فحذف من الثاني لدلالة الأول عليه.

ومن صوره كذلك قوله:

وإذا الشيخ قال أف فما م ... ل حياةً وإنما الضعف ملا

آلةُ العيش صحة وشباب ... فإذا وليـــا عن المرء ولى

أبداً تسترد ما تهب الدن ... يا فيا ليت جودها كان بخلا [1]

نجد في البيت الأول تقديم المفعول على الفعل في قوله: إنما الضعف ملا؛ لينبه من أول الأمر على أن سبب الملل والضجر هو الضعف وليس طول الحياة، ونجد في البيت الثالث تقديم المفعول على الفاعل في قوله: تسترد ما تهب الدنيا، وفي ذلك إشارة إلى سرعتها وعدم تمهلها في استرداد هبتها.

ومن شواهده قوله:

يغير مني الدهر ما شاء غيرها ... وأبلغ أقصى العمر وهي كعابُ[2]

فقدم الجار والمجرور على الفاعل في قوله: (يغير مني الدهر) وهو بهذا التقديم يشير إلى قوة نفسه وجلدها على نوائب الدهر، مما جعلها مستحقة التقدم عليه، حتى لكأنها المحركة له والمتصرفة فيه وليس العكس. والتقديم مفيد للتخصيص، فكأن الدهر يقصده دون غيره ويريده دون سواه، وهو بهذا التقديم جعل من نفسه خصما عنيدا للدهر.

([1]) الديوان ص٤٠٧

([2]) ديوان المتنبي ص٤٧٨

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

الفصل الثاني
التصوير البياني في شعر المتنبي
عن الشباب والمشيب

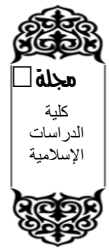
مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الأول: التـشبـيه

تعتمد صور شعر الشباب والمشيب عند المتنبي على جملة فنون بيانية يقع في مقدمتها التشبيه، الذي يعد أكثر الأنواع البيانية جذبا للانتباه، إذ به يتم إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، و ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به، و ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها، وبه إخراج ما لا قوّة له في الصفة على ما له قوة فيها.[١]

وقد لجأ المتنبي في شعره عن الشباب والمشيب إلى التشبيه باعتباره وسيلة من وسائل التصوير، ويغلب على تشبيهاته سمة الحسية، فالطرفان عنده محسوسان في العادة، و يقصد بحسية الطرف: أن يكون مما يمكن إدراكه بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، كما تغلب على تشبيهات المتنبي كذلك سمة الإجمال وذلك بحذف وجه الشبه وادعاء مشاركة المشبه للمشبه به في سائر الصفات، وعادة ما يعمد إلى ذكر الأداة، كما تغلب على تشبيهاته سمة الإفراد، وسأحاول إبراز تلك السمات فيما أورده من شواهد.

فمن شواهد التشبيه قوله في تصوير ظهور الشيب عقب الشباب:

جلا اللون عن لونٍ هدى كل مسلكٍ .. كما انجاب عن ضوء النهار ضبابُ[٢]

---

(١) ينظر: الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت ١٤١٩هـ، ص٢٤٠ وما بعدها

(٢) الديوان ص٤٧٨

فشبه زوال سوادِ الشباب عن بياض المشيب بانقطاع الضباب عن ضوء النهار، فسواد الشباب كما يراه المتنبي كالضباب الذي يحجب الرؤية، فيترتب على ذلك حيرة السالك وتخبطه، بينما الشيب كضوء النهار الذي يهدي كل مسلك ويرشد إلى كل سبيل، فالمشبه هنا هو سواد الشباب وبياض الشيب، والمشبه به الضباب وضوء النهار، والأداة المستعملة هي الكاف، ووجه الشبه إحاطة الشيء المظلم بالشيء المضيء ثم انسلاخ كل منهما عن الأخر، والتشبيه هنا من قبيل تشبيه متعدد بمتعدد، وهو كذلك تشبيه محسوس بمحسوس. وقد رسم لنا هذا التشبيه صورة واضحة للشباب بما فيه من لهو ولعب واغترار بالقوة، وأمل في طول العمر، وغفلة، وخفة في العقل، وشهوة تسيطر على القلب، وتلك الأشياء كالضباب الذي يمنع الرؤية ويحجبها، ورسم لنا كذلك صورة واضحة للشيب بما فيه من وقار، وأناة، وحلم، وتراكم للخبرات، وصور ذلك في صورة ضوء النهار الذي يضيء لصاحبه جوانب الطريق ويحفظه من الانحراف والتخبط.

ويشبه المتنبي ممدوحه بالشيب في قهره للنفوس وغلبته عليها فيقول:

رضوا بك كالرضى بالشيب قسراً ... وقد وخط النواصي والفروعا [1]

وقد أبدع الشاعر هنا في تصوير ممدوحه في غلبته لأعدائه وتسلطه عليهم، بالشيب الذي لا يمكن دفعه أو الهروب منه، فلا سبيل إلا الصبر عليه والرضا به، فمن يستطيع التغلب على الشيب؟ ومن يمكنه دفعه؟ ويذكرني هذا البيت بقول النابغة:

---

(1) الديوان ص٩٢

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع[1]

فكذا من يستطيع الفرار من الليل ؟ ومن ذا الذي لا يدركه الليل؟

والتشبيه هنا قد أدى وظيفته، وجاء متناغما مع ما قبله وما بعده من أبيات، إذ الغرض المقصود من الأبيات قبله وبعده هو إثبات الهيبة والسطوة للممدوح، إلا أن هذا التشبيه كان أبلغ في إثبات هذا المعنى؛ لأنه أخرجه في صورة محسوسة، وأثبته بطريقة لا يمكن معها إلا الإقرار والتسليم. فالمخاطب إذا تأمل تلك الصورة وتأمل فعل الشيب بالنواصي والفروع أدرك قوة الممدوح وبأسه.

ومن النقاد من يرى أن الشطر الثاني من البيت يعد حشوا [2] ولكنه – من وجهة نظري– مكمل للمعنى وموضح للصورة؛ لأن المتنبي أراد به أن يؤكد على تمكن ممدوحه من أعدائه كتمكن الشيب من النواصي والفروع.

وفي الجمع بين الرضا والقسر ما يدل على أن الممدوح قد كان منه من استعمال وسائل القسر ما حملهم به على هذا الرضا، ولو بدت منه بوادر خذلان أو وضعف لما انقادوا له، والتشبيه هنا يعد تتويجا لما ذكر من المعاني قبله، فهو يقول قبل هذا البيت:

فليس بواهبٍ إلا كثيراً ... وليس بقاتلٍ إلا قريعا

وليس مؤدباً إلا بنصلٍ ... كفى الصمصامة التعب القطيعا

عليٌّ ليس يمنع من مجيءٍ ... مبارزه ويمنعه الرجوعا

إلى أن يقول

(1) ديوان النابغة الذبياني- دار المعرفة بيروت- ص٧٨

(2) ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه لابن وكيع، ص٤٦٤

إذا ما لم تسر جيشاً إليهم ... أسرت إلى قلوبهم الهلوعا

ثم يعقب كل هذا بتشبيهه بالشيب ليقطع أمل خصومه وأعدائه في محاولة دفعه، وبذا يكون هذا التشبيه مؤكدا لتلك المعاني ، بالإضافة إلى ذلك أضاف لها معنى آخر هو تنامي القوة وزيادتها، فإن الشيب إذا وخط النواصي والفروع فإنه لا ينحسر بل ينتشر.

ودخل يوماً على أبي العشائر: الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي التغلبي وهو على الشراب، وبيده بطيخة من ند في غشاء من خيرزان، على رأسها قلادة لؤلؤ، فحياه بها، وقال: أي شيء تشبه هذه، فقال:

وسوداء منظوم عليها لآلىء ... لها صورة البطيخ وهي من الند

كأن بقايا عنبرٍ فوق رأسها ... طلوع رواعي الشيب في الشعر الجعد[1]

فشبه العنبر الذي كان فوق رأسها ببياض الشعر، في الشعر الجعد، لأن البطيخة كانت سوداء، والعنبر ما ضرب إلى الشيبة، وخص الجعد؛ لأنه مع السواد في الأغلب. وقيل أتى به لأجل القافية. [2]

والتشبيه هنا تشبيه محسوس بمحسوس، وهو كذلك من قبيل التشبيه المفرد المطلق بمفرد مقيد، فقد قيد الشعر بالجعودة، وهذا القيد أكسب الصورة دقة، وجعلها أكثر تحديدا. وفي استعمال أداة التشبيه " كأن " ما يشير إلى التقارب الشديد بين الطرفين حتى لكأنهما من جنس واحد.

وقال يشبه بريق السيف ببياض الشيب:

وعجاجة ترك الحديد سوادها ... زنجا تبسم أو قذالاً شائبا

([1]) الديوان ص٢٤٠

([2]) معجز أحمد، جـ٢/٤٩٧

فكأنما كُسي النهار بها دجــى ... ليلٍ وأطلعت الرماحُ كواكبا
قد عسكرت معها الرزايا عسكراً ... وتكتبت فيها الرجال كتائبا [1]

فشبه لمعان السيوف في سواد الغبار، بتبسم الزنجي حين يبدو بياض أسنانه من تحت سواده، أو بقذال قد شاب، فيلوح الشيب في وسط سواد الشعر، وهو تشبيه عجيب، وكأن النهار بهذه العجاجة قد لبس ظلمة الليل، وكأن أسنة الرماح فيها بمنزلة الكواكب، فتكون الرماح قد أطلعت الكواكب، وهي أسنتها. [2]

فالصورة هنا جمعت بين عدة تشبيهات، شبه أولًا العجاجة: وهو الغبار، بالزنج بجامع السواد. ثم شبه السيوف بأسنان الزنجي أو القذال الشائب، بجامع اللمعان والضياء في كل، وهو تشبيه مفرد بمتعدد، ويسمى هذا النوع من التشبيه بتشبيه الجمع، وهو الذي تعدد طرفه الثاني دون الأول.[3]

ثم شبه الغبار بدجى الليل بجامع الظلام في كل، وفي تشبيهه للغبار بالزنجي أولا ثم تأكيده على ذلك بتشبيهه بالدجى ثانيا، ما يدل على كثافته واحتدام المعركة واشتداد القتال. ثم شبه الرماح تدور فوق الرؤوس بالكواكب بجامع الاضطراب وسرعة الحركة في كل.

ثم شبه أخيرا الرزايا والمصائب التي صاحبت العجاجة بالعسكر الذي يحيط بالعدو لإبادته وإهلاكه.

---

(1) الديوان ص١١١
(2) معجز أحمد، جـ٢/٣٤
(3) بغية الإيضاح، جـ٣/٤٢٩

وإنما ذكر للرزايا عسكراً، وللرجال كتائب، لأن العساكر أكثر من الكتائب، فيدل على أن الرزايا أكثر على الأعداء من رجاله. [1]

وهذا يدل على أن الممدوح إذا قصد عدوه فإنه لا يجهز له جيشًا من الرجال وحسب، وإنما يجهز كذلك عسكرا من المصائب والرزايا، وذلك باتخاذ كافة السبل التي تمكنه منهم، كأن يقطع عليهم طرق المؤن، أو يحاصرهم حتى ينفد ما لديهم فيستبد بهم الجوع، فهو لا يلقي بكتائبه إلا بعد أن يضمن المعركة لصالحه، وهذا من حسن تدبيره.

ولا شك أن هذه التشبيهات صورت المعركة تصويرا دقيقا وأظهرتها في مظهر بديع، فقد استطاع من خلال هذه التشبيهات أن يصفها وصفا جعلنا كالمشاهدين لها.

ويشبه المتنبي الشيب باللثام الذي يغطي الرأس في كونه ليس دالا على الهرم، فلا يعدو بياض الشيب من وجهة نظره أن يكون غطاء قد غطي به سواد الشباب، فيقول:

لو كان يمكنني سفرت عن الصبا ... فالشيب من قبل الأوان تلثم[2]

فكما نلاحظ يشبه الشيب بلثام أبيض قد غطى رأسه، وفي تشبيهه للشيب باللثام ما يفيد أن هذا البياض الذي علا رأسه ليس في حقيقة الأمر دليلا على تقدم سنه وهرمه؛ لأنه ليس جزءًا من رأسه، وإنما هو مجرد لثام أبيض قد تلثم به، وإلا فهو لا زال في صباه وعنفوان شبابه، وهذا اللثام قد ظهر قبل أوانه، ولو أمكنه نزع هذا اللثام لبدا شبابه للعيان.

(1) معجز أحمد، جـ٢/٣٥

(2) الديوان ص٥٧٠

وجاء التمني بـ " لو " في أول البيت متآزرا مع التشبيه في إداء المعنى، ومشعرا بعزة المطلوب حيث أبرزه في صورة ما لا يمكن، فعودة الشعر الأسود بعد ظهور الشيب فيه، أمر لا يطمع فيه، وإن كان هذا الشيب قد ظهر قبل أوانه.

وقال يشبه تربة بستان وما يعلوها من حشائش ونباتات:

حتى دخلنـــا جنةً ... لو أن ساكنــها مخلـد

خضراء حمراء الترا ... ب كأنـها في خد أغيد

فشبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بخضرة الشارب على الخد الطرير الأحمر، وقد مزج هنا أيضا بين التشبيه والتمني، فبين بالتشبيه مظاهر جمالها وبديع صورتها، وتمنى الخلود لساكنها، وكأنه يقصد بهذا التمني التنبيه على روعتها وجمالها ، حتى لكأنها جنة الآخرة أو تضاهيها، غير أنها لا خلود فيها.

المبحث الثاني: المجاز

يقوم التعبير المجازي على استعمال الكلمة في معنى غير معناها الذي ارتبطت به، وهذا الاستعمال لا يتم ارتجالا، بل ينبني على علاقات معينة تربط بين المعنى الثاني للكلمة ومعناها الأول، والمجاز بهذا الاعتبار يعد ضربا من التعبير يؤدي المعنى أداءً غير مباشر. [1]

وعليه فليس المجاز مجرد تلاعب بالكلام بنقله من معناه الحقيقي الموضوع له في أصل اللغة، والمتعارف عليه بين الناطقين بها، كما أنه ليس مجرد استعمال الكلمة أو العبارة بمعنى كلمة أو عبارة أخرى موضوعة لمعنى آخر، إذ لو كان كذلك لكان ضربًا من الإيهام والإبهام والتلبيس على المخاطب، إنما المجاز طريق من طرق الإبداع البياني، وضرب من أضرب البلاغة، وود من أوديتها، تدفع إليه الفطرة الإنسانية المزودة بالقدرة على البيان، واستخدام الحيل المختلفة للتعبير عما في النفس من معان تريد التعبير عنها. [2]

فهو فن متسع رحب ينبسط بين يدي الأديب البليغ، ليعبر عما يستجد في حياته من مدلولات، وليجسد مشاعره وأفكاره بلا عائق من قيد لغوي

---

(1) ينظر: التعبير البياني د/ شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٢٩

(2) ينظر: البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط: الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، جـ٢/٢٢٥

غير الذوق السليم، والأسلوب العربي الأصيل؛ الذي ترسم شواهده الفنية أسس التعبير وسبل التفنن.[١]

وقد لجأ المتنبي في شعره عن الشباب والمشيب إلى المجاز ليبث من خلاله طرب الشباب ونشوته، وأنات الشيب ولواعجه، لكن الاستعارة عنده أكثر شيوعا من المجاز المرسل، والاستعارة هي: أحد فنون القول التي لا غنى للأديب عنها، فهي على حد تعبير القاضي الجرجاني:" أحد أعمدة الكلام، وعليها المعول في التوسع والتصرف، و بها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر" [٢]

ومن شواهد الاستعارة عند المتنبي في شعره عن الشباب والمشيب قوله:

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبهِ ... ولو أن ما في الوجه منه حرابُ
لها ظفر إن كل ظفـــر أعــــدهُ ... ونـاب إذا لم يبق في الفم نابُ
يغير مني الدهر ما شـــاء غيرها ... وأبلغ أقصى العمر وهي كعابُ[٣]

فشبه النفس أولا بالإنسان، فنفى عنها الشيب وأثبت لها الشباب، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، ثم شبهها ثانيًا بالسبع فأثبت لها ظفرا ونابا، وذلك أيضا على سبيل الاستعارة المكنية بحذف المشبه به وذكر

---

(١) ينظر: البلاغة والتطبيق د/ أحمد مطلوب ، د/ حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالعراق، ط: الثانية ١٩٩٩م ١٤٢٠هـ، ص ٣٣٦

(٢) الوساطة للقاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص٣٥٥

(٣) ديوان المتنبي ص٤٧٨

لازم من لوازمه، ثم شبهها بالمراءة الحسناء فأثبت لها الكعوبة، يقال: كَعَبَتِ الجاريةُ، تَكْعُبُ كُعُوباً وكُعُوبةً وكِعابةً وكَعَّبَت: نَهَدَ ثَدْيُها. (١)

فهو بذلك شبه النفس بالمرأة ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية أيضا. وقد أراد المتنبي بتلك الاستعارات التأكيد على إثبات القوة والعزيمة لنفسه، فهي لا تعبأ ببياض الشعر إذ لا يعدو أن يكون مجرد لون. كما لا تعبأ بتقدم العمر فإن ذلك لا يؤثر فيها وإن أثر في الجسم، ومن الملاحظ هنا أن المتنبي اعتمد على الاستعارة المكنية بما تتسم به من تخييل وتشخيص، وقد استطاع من خلالها أن يبرز النفس وهي شيء معنوي غير مدرك في صورة مدركة محسوسة، فصورها بصورة إنسان متجدد الحيوية والشباب، ثم صورها في صورة سبع مفترس ذو أظفار وأنياب، ثم صورها في صورة كاعب حسناء، فجمع لها بذلك بين القوة والجمال. وأخرجها من حيز العقل إلى حيز الحس.

ومن شواهد الاستعارة كذلك قوله:

بدو لنا كلما ألقوا عمائمهم ... عمائم خلقت سودا بلا لثم (٢)

ففي قوله: (عمائم خلقت سودا بلا لثم) استعارة مرشحة، حيث شبه رؤوسهم وقد ألقوا العمائم من عليها بالعمائم السوداء لشدة سواد شعرهم، ثم حذف المشبه واكتفى بذكر المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، ورشح الاستعارة بذكر اللثم، فهي من ملائمات المشبه به، والاستعارة هنا فيها إثبات للشباب من أبلغ طريق، حيث صور شعر الرأس

(١) ينظر اللسان مادة " كعب" جـ١/٧١٩

(٢) الديوان ص٤٩٦

بصورة العمامة السوداء التي تحيط بالرأس من جميع الجهات، وفي هذا دلالة على أنهم في مقتبل الشباب، فليس هناك بياض في الرأس من أية جهة كانت، وهذ آكد في مدحهم.

ومن التصوير بالاستعارة أيضا قوله:

أتى الزمان بنوه في شبيبته ... فسرهم وأتيناه على الهرم [1]

فصور الزمان في صورة الشاب الذي أدركه بؤس الشيب والهرم، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية: وهي التي يحذف فيها المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه، والمشبه به هنا هو الإنسان، واللازم الذي رمز إليه هو الشباب والهرم. وأضاف السرور لضمير الدهر، والدهر لا يحزن ولا يسر على الحقيقية وإنما ما فيه من أحداث، فأسند السرور للدهر لأنه زمانه، وقد أضفت الاستعارة على البيت لونا من الجمال، وبثت فيه الحياة، وذلك بتشخيصها للزمان الذي هو معقول، وقد اجتمع في هذا البيت عدة فنون بلاغية ساعدت على إيضاح المعنى، تلك الفنون هي الاستعارة كما تقدم بإسناد الشبيبة والهرم إلى الزمان، والمجاز العقلي بإسناد السرور إلى ضمير الزمان، وإنما الذي يسر ويسيء هي الأحداث، وإيجاز بالحذف إذ التقدير: وأتيناه على الهرم فساءنا، فحذف لدلالة ما تقدم عليه، وهذه الفنون البلاغية لكل منها دوره في أداء المعنى المراد الذي يقصده الشاعر، فالشاعر من خلال هذه الأدوات يؤكد على أن المشكلة التي تحول بينه وبين ما يريده لنفسه من مجد- هو هذا الزمان الذي استنزف الأولون خيره، وإلا فهو حقيق بنيل المجد وبلوغ ذروة الشرف.

([1]) الديوان ص٤٩٨

وتشخيص الاستعارة للزمان موحية بأنه مدرك وقاصد لما يفعل، فقد أدخله بهذه الاستعارة في حيز العقلاء، و إضافة الأبناء إلى ضمير الزمان في قوله: (بنوه) مشعرة بأن للزمان أبناءً هو بهم رحيم وعلى غيرهم قاس، يسعى في سرورهم وإن أحزن بذلك غيرهم.

ومثل هذا البيت السابق قوله:

تغير حالي والليالي بحالها ... وشبت وما شاب الزمان الغُرانق[1]

فنفى الشيب عن الزمان على سبيل الاستعارة المكنية، ورشح الاستعارة بذكر الغرانق، والغرانق: جمع غرنق، وهو الشاب الناعم الجميل. والمتنبي يقدم بهذه الاستعارة بين يدي ممدوحه، فبين أحدثته صروف الزمان به؛ ليرق لحاله.

واستعمل الاستعارة في مدحه لسيف الدولة الحمداني فقال:

وأحسن من ماء الشبيبة كله ... حيا بارقٍ في فازة أنا شائمه

عليها رياضٌ لم تحكها سحابةٌ ... وأغصان دوحٍ لم تغنّ حمائمه

وفوق حواشي كلّ ثوبٍ موجّهٍ ... من الدّرّ سمطٌ لم يثقّبه ناظمه [2]

فاستعار الحيا للممدوح على سبيل الاستعارة التصريحية، والاستعارة هنا مجردة بذكر الفازة: وهي القبة التي يجلس فيها الممدوح، ثم يلجأ إلى التشبيه، فشبه النقوش التي علي قبته بالرياض المنورة، إلا أنها ليست من صنعة الغيث والسحاب، ولكنها من صنعة البشر، وعليها صور أغصان أشجار عليها حمائم، لكنها صامتة لا تتغنى ولا تغرد. وعلى حواشي كل ثوب ذي وجهين عقد منظوم من الدر، غير أن ناظمه لم

(1) الديوان ص٧٦

(2) الديوان ص٢٥٧، ٢٥٨

يثقبه؛ لأنه ليس بدر على الحقيقة، بل نقش على صورة الدر. وهو بهذا المزج بين الاستعارة والتشبيه استطاع أن يصور ممدوحه في صورة جميلة من الأبهة والعظمة والجلال.

ومن استعماله للاستعارة كذلك قوله:

ضيفٌ ألم برأسي غير محتشمِ ... والسيفُ أحسنُ فعلاً منه باللمم[١]

وهذا البيت يجوز أن يحمل على الكناية فيكون قد كنى بالضيف عن الشيب، ويجوز أن يحمل على الاستعارة فيكون قد شبه الشيب بالضيف المتطفل غير المرغوب فيه، ثم حذف المشبه واكتفى بذكر المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، والاستعارة هنا مطلقة حيث ذكر في البيت ما يلائم الطرفين فقوله: (برأسي) من ملائمات المشبه، وقوله: (غير محتشم) من ملائمات المشبه به.

ومن ذلك قوله:

إلا يشب فلقد شابت له كبدٌ ... شيباً إذا خضبتهُ سلوةٌ نصلا [٢]

فأسند الشيب للكبد على سبيل الاستعارة المكنية، وهو يبالغ في تأكيد هذا الشيب الذي أصاب كبده، فأكده باللام وقد وبوصف هذا الشيب بعدم جدوى الخضاب فيه، مما يدل على عمق ما أصاب فؤاده وفرط ما ناله من أسى وحزن، ويجمع مع الاستعارة التشبيه، فيشبه النسيان بالخضاب الذي يحاول به إخفاء هذا الحزن، إلا أنه قد أعيته المحاولة، فكلما حاول ذلك نصل الحزن وظهر مجددا وما ذلك إلا لشدته على قلبه.

ومن أمثلة الاستعارة أيضًا قوله:

---

(١) الديوان ص٢٠

(٢) الديوان ص١٧

راعتك رائعةُ البياض بعارضي ... ولو آنها الأولى لراع الأسْحمُ[1]

الرائعة: أول ما يظهر من الشيب. وروي: راعية [2]

فالشيب يذهب سواد الشعر كما تُذهب الراعيةُ من الماشية خضرة المرعى. وعليه فقد استعار الراعية للشيب وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، والاستعارة هنا مجردة لذكر البياض والعارض فهما من ملائمات المستعار له.

ومن شواهد المجاز المرسل قوله:

والهم يخترم الجسيـــــــم نحافةً ... ويشيب ناصية الصبي ويهرم[3]

فأسند هلاك الجسم إلى الهم، و الهم لا يهلك الجسم وإنّما الذي يهلكه هو المرض الذي سببه الهم، وكذلك الفعل «يشيب» أسند إلى ضمير الهم، أي إلى غير فاعله الحقيقي أيضا، لأنّ الهم لا يشيب الرأس وإنّما الذي يشيبه هو الضعف في جذور الشعر الناشئ عن الهم. وعلى هذا فإسناد الاختزام والإشابة إلى الهم مجاز علاقته السببية، حيث عبر بالسبب وهو الهم وأراد المسبب وهو المرض.

---

(1) الديوان ص٥٧٠

(2) معجز أحمد، جـ٢/٤٦٠

(3) الديوان ص٥٧٠

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

الفصل الثالث

المحسنات البديعية في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب

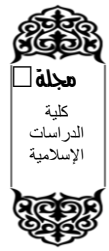
مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

أولا: الطباق والمقابلة

ويلجأ المتنبي إلى توشية شعره وتزيينه ببعض المحسنات البديعية التي تضفى على الكلام لونا من الحسن والجمال، لاسيما إذا جاءت عفو الخاطر بعيدة عن التكلف والتصنع، والمحسن البديعي الشائع في شعره عن الشباب والمشيب، بل في شعره عامة هو الطباق والمقابلة، وقد تنبه الدكتور/ طه حسين إلى هذه الظاهرة في شعر المتنبي، واعتبرها مظهرا أساسيا في فنه، لما توفره من جمال موسيقي يؤثر في الذوق والعقل والحس جميعا. كما يرى الدكتور/ طه: أن المتنبي في هذا كان يتكلف الفن تكلفًا ويجهد نفسه فيه، فالظاهرة لديه ناجمة عن قدرته في التوفيق بين الألفاظ المتضادة والمعاني المتضادة. [1]

وبالنظر في شعر المتنبي نجده قد يتخذ من الطباق والمقابلة وسيلة إلى المدح بإظهار خصائص الممدوح المميزة له عن غيره، نرى ذلك في نحو قوله:

نفس تصغر نفس الدهر من كبرٍ ... لها نهى كهله في سن أمرده[2]

فطابق بين الصغر والكبر، وبين الكهل والأمرد، وهذا الطباق أظهر ما يتمتع به الممدوح من قوة في النفس ورجاحة في العقل، جعلته لا يكترث بنوازل الدهر، بل ويصغر تلك المصائب لكبر نفسه، مع ما يتمتع به من عقول الكهول وقوة الشباب.

ومثله قوله:

تدبير ذي حنك يفكر في غد ... وهجوم غر لا يخاف عواقبا[1]

([1]) ينظر: مع المتنبي ص٥٠

([2]) معجز أحمد جـ٣/ ٦٠٨

فقابل بين شطري البيت مقابلة أظهر من خلالها ما يتمتع به ممدوحه، حيث جمع بين حسن التدبير الذي هو من صفات الشيوخ وذوي التجارب، والإقدام في الوغى الذي هو من صفات الشباب، كما جمع له بين التفكير في الأمور وعدم الخوف من عواقبها، وبذا يكون قد جمع بَين الضدين بتدبير الْملك تَدْبِير مجرب مفكر في العواقب، وإقدامه إقدام غر لا يخشى العواقب. والشطر الثاني كالاحتراس من الأول؛ فإن النظر في الأمور والتفكير في المخاطر قد يحمل على الخوف والإحجام، إلا أن الممدوح يجمع بين حسن التدبير والإقدام وعدم الخوف من العواقب.

ومن ذلك قوله:

تولى الصبي عني فأخلفت طيبه ... ومـا ضرني لمـا رأيتك فقـده

لقد شـب في هذا الزمان كهوله ... لديك وشابت عند غيرك مرده[٢]

فطابق في البيت الأول بين تولى وأخلفت، وقابل بين شطري البيت الثاني، واتخذ من هذا الطباق وتلك المقابلة وسيلة للمدح، بإثبات الفضائل للممدوح، وإثبات عكسها لخصومه، فالكهول صارت شبابا عند الممدوح لما وجدوه لديه من عدل وعطف، وبما أسبغ عليهم من نعم وعطايا، بينما شاب الشبان عند غيره من الملوك لظلمهم وعجزهم عن ضبط أعمالهم ورعاية أحوالهم. وبين البيتين صلة وارتباط؛ فالبيت الثاني يعد تأكيدا لما ذكره في البيت الأول، بالإضافة إلى ذلك فإن البيت الثاني كالاستدراك على الأول، حتى لا يُظن أن هذا الأمر خاص بالمتنبي، وأن شيبه تحول عند

(١) الديوان ص١١٢

(٢) الديوان ص٤٥٥

الممدوح إلى شباب لما يجده لديه وبما أسبغ عليه، وإنما ذلك عام في كل من وفد عليه.

ونجد ذلك أيضًا في قوله:

وشيخ في الشباب وليس شيخاً ... سمي كل من بلغ المشيبا

قسا فالأســـــد تفزع من يديه ... ورق فنحن نفزع أن يذوبا [١]

نجد المطابقة بين قوله:" شيخ " وقوله "وليس شيخا" وبين الشباب والمشيب، وبين قوله " قسا " وقوله: " رق " وكل هذ المقابلات استطاع من خلالها الشاعر أن يرسم صورة معبرة للممدوح بإثبات الفضائل وسلب النقائص، فالممدوح شيخ في شبابه؛ لحلمه وحكمته، وليس يسمى الشيخ كل من شاب، إذ من الشيب من لا يستحق اسم الشيخ. وهو قاسي القلب في الحروب على أعدائه، بحيث تخشى الأسود منه ومن صولته، ورقيق الطبع لأوليائه.

وعادة ما يستعمل المتنبي الطباق والمقابلات لينقل من خلالها عاطفته، ويجسد معاناته، نرى ذلك في قوله:

إلى كم ذا التخلــف والتوانـــي ... وكم هذا التمادي في التمادي

وشغل النفس عن طلب المعالي ... ببيع الشعر في سوق الكساد

وما ماضي الشبـــاب بمسترد ... ولا يوم يمر بمستـــــعاد

متى لحظت بياض الشيب عيني ... فقد وجدته منها في الـواد

متى ما أزددت من بعد التناهي ... فقد وقع انتقاصي في ازديادي [٢]

---

(١) الديوان ص١٩٥

(٢) الديوان ص٨٥

فطابق بين البياض والسواد، والانتقاص والازدياد، وجانس بين مسترد ومستعاد؛ ليجسد معاناته مع الدهر الذي يسلبه عمره وشبابه، والمتنبي من خلال هذا الطباق استطاع أن يضع الأشياء في نصابها، ويظهرها على حقيقتها، فهذا البياض البادي على رأسه والناتج عن الشيب، ليس في الحقيقة إلا سوادا توشحت به عينه ففقدت نورها، وهذا الازدياد في العمر ليس في الحقيقة إلا انتقاصا منه، ويضع المتنبي هذه الصورة نصب عينيه رغبة منه في التخلص من تلك الغفلة وهذا التمادي، وحثا لنفسه على درك المعالي في سن الشباب، وهو بذلك يخشى من تقدم العمر فليحقه الندم على شبابه الضائع.

وشبيه بالبيت الأخير قوله:

زيادة شيب وهي نقص زيادتي ... وقوة عشق وهي من قوتي ضعف [١]

فجعل الزيادة سببا في النقصان، والقوة سببا في الضعف، والمعنى: كلما زاد شيبي زاد جسمي نقصاً، وكلما قوي عشقي، ضعفت قوتي، فالزيادة نقصان، والقوة ضعف.

ونجده ينقل معاناته مع الدنيا من خلال الطباق أيضا فيقول:

أبداً تسترد ما تهب الدن ... يا فيا ليت جودها كان بخلا [٢]

فالمطابقة بين تسترد وتهب، والجود والبخل، أظهرت الدنيا المتغيرة المتبدلة التي سرعان ما تسترد هبتها، وتمني بالعطاء ثم تعود لتبخل وتخلف وعدها.

ونجده كذلك في قوله:

---

(١) الديوان ص١٠٥

(٢) الديوان ص٤٠٧

والهم يخترم الجـيم نحافةً ... ويشيــب ناصية الصبي ويهرم

ذو العقل يشقى في النعيم بعقلهِ ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم[1]

فالمتنبي هنا بعد أن تحدث عن الهم وإصابته للصبي بالهرم والشيب، انتقل للمقابلة بين العاقل والجاهل، وأدرك من خلال هذه المقابلة أن عقله وتفكره في عواقب الأمور وعلمه بمآلتها هو الذي جر عليه هذا الهم الذي أشاب الرأس، وتلك الشقاوة التي يجدها، والتعب الذي يحس به، وإن كان في حقيقة الأمر منعما، بينما يرى ضعاف العقول وذوي الجهالة ينعمون بحياتهم ويتلذذون بعيشهم وإن كانوا في شقاوة، وما ذلك إلا لجهلهم وقلة إدراكهم وعدم تبصرهم بالعواقب. وكأنه بذلك يتمنى أن لو كان جاهلا ليسعد بالحياة ويجد لذتها.

ويتخذ المتنبي من أسلوب الطباق والمقابلة وسيلة للإقناع، بتقرير المعنى بذكر الشيء وما يناقضه، حتى يكون المعنى أثبت في النفس وألصق بالذهن، ولنتأمل في ذلك قوله:

مشبّ الّذي يبكي الشّباب مشيبه ... فكيف توقّيــه وبانيــه هادمـه؟!

وتكملة العيش الصبـا وعُقيبـه ... وغائب لون العارضين وقادمـه

وما خضـب الناس البيـاض لأنه ... قبيح ولكن أحسن الشعر فاحمه[2]

نجد المطابقة بين مشب ومشيبه، وبين بانيه وهادمه، وهي مطابقة ملزمة للعقل لا يمكنه جحدها، وهي إلى جانب ذلك مؤكدة للمعنى، فمرور الأيام هو الذي جعله شابا، ومرورها هو الذي حول الشباب إلى المشيب، فلولا مرورها لما حصل له الشباب الذي يبكي على زواله وعلى حلول

(1) ديوان المتنبي ٥٧١

(2) الديوان ص٢٥٧، ٢٥٨

الشيب محله، فحقيقة الأمر أن من يقوم بالبناء هو بعينه من يقوم بالهدم، وإذا كان الأمر كذلك فلا سبيل للوقاية منه. ثم نجد الطباق بين غائب وقادمه، و بين أبيض وفاحم، وبين قبيح وأحسن، وكل هذا الطباقات أظهرت تناقضات الحياة وتغير أحوالها بين شباب وشيب، وحسن وقبح إلخ،

وقد يتخذ المتنبي من الطباق وسيلة إلى التسلية والترويح عن النفس ومن ذلك قوله:

فما ترجى النفوس من زمنٍ ... أحمد حاليه غير محمودِ [1]

فطابق بين أحمد وعير محمود، وهذا البيت من قصيدة يرثي بها أبا وائل تغلب بن داود، واتخذ المتنبي من هذا الطباق وسيلة للتسلية بالتأكيد على أن الدنيا في حقيقة أمرها غير محمودة، فمن تفحص فيها وجد أن أحمد حاليه الحياة، والحياة منغصة بترقب الموت، وفقد الأحبة، ونكد العيش.

ومن ذلك أيضا قوله:

وأوفى حيوة الغابرين لصاحبٍ ... حيوة أمرئ خانته بعد مشيب[2]

فطابق بين الوفاء والخيانة واتخذ من الطباق وسيلة للتسلية لاسيما أن البيت المذكور من قصيدة في الرثاء، وقد نبه من خلال هذا الطباق أن الدنيا إن وفت لصاحب وبالغت له في الوفاء، فلا محالة سيعقب هذا الوفاء خيانة، ومن خانته الدنيا بعد المشيب فقد كانت له من الأوفياء.

---

(1) الديوان ص٢٩٤

(2) الديوان ص٣٢٢

ثانيًا: الإرصاد

الإرصاد هو أن يجعل قبل العَجُز من الفقرة أو البيت ما يدل على العَجُز إذا عُرف الرَّوِيّ.[١] ومثل هذا النوع محمود في الكلام كله نظمه ونثره، فخير الكلام ما دل بعضه على بعض.[٢]

وقد استعمل المتنبي هذا اللون في شعره عن الشباب والشيب بكثرة ، ومن شواهده قوله:

تدبير ذي حنك يفكر في غد ... وهجوم غر لا يخاف عواقبا[٣]

فإن القارئ أو السامع إذا وقف عند قوله : " يفكر " علم أن ما بعده " في غد" وإذا وقف عند قوله: "لا يخاف " علم أن ما بعده " عواقبا" وبذا يكون آخر الكلام متصلا بأوله، وأوله دالا على آخره.

ومنه كذلك قوله:

وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى ... ولكن بأيامٍ أشبن النواصيا[٤]

فقوله: " أشبن " دال على أن الكلمة التي بعده لا محالة " النواصيا " خاصة وأن الروي في القصيدة هو حرف الياء.

ومنه أيضًا قوله:

وإذا الحلم لم يكن في طباعٍ ... لم يحلم تقدمُ الميلادِ [٥]

---

(١) الإيضاح جـ٤/٥٨٧

(٢) ينظر: فن البديع، د/ عبد القادر حسين، دار الشروق، ط: الأولى ١٤٠٣ه ١٩٨٣م ص٥٩

(٣) الديوان ص١١٢

(٤) الديوان ص٤٤٤

(٥) الديوان ص٤٦٤

فقوله: " تقدم " دال على أن الكلمة التي بعده هي " الميلاد "

ومنه قوله:

فما الحداثة من حلمٍ بمانعةٍ ... قد يوجد الحلم في الشبان والشيب[١]

فإذا توقف القارئ عند كلمة الشبان علم أن الكلمة التي بعدها هي الشيب

ثالثًا: التفويف

والتفويف كما عرفه ابن أبي الإصبع: "عبارة عن إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح أو الغزل، أو غير ذلك من الفنون والأغراض، كل فن في جملة من الكلام منفصلة من أختها بالتجميع غالباً، مع تساوي الجمل المركبة في الوزنية، ويكون بالجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة." [٢]

ومن شواهده في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب قوله:

وَالمَرْءُ يأمُلُ، وَالحَيَاةُ شَهِيّةٌ ** وَالشّيْبُ أوْقَرُ، وَالشّبيبَةُ أنْزَقُ[٣]

فجمع في هذا البيت بين أربع جمل متساوية في المقادير والوزن، وكل جملة تناولت معنى غير المعنى الذي تناولته صاحبتها، فالأولى تناولت الأمل المتجدد في القلوب، والثانية تحدثت عن الحياة وشهواتها، والثالثة عن الشيب و وقاره، والرابعة عن الشباب ونزقه.

ومنه كذلك قوله:

---

(١) الديوان ص٤٥٠

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د/ حفني شرف، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي ص٢٦٠، ٢٦١

(٣) ديوان المتنبي ص٢٨

نعج محاجره، دعج نواظره ... حمر غفائره، سود غدائره [١]

فتلك جمل أربعة متساوية في الوزن، تناولت كل جملة جانبا من الجوانب.

رابعًا: المذهب الكلامي

المذهب الكلامي عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه، لأنه مأخوذ من علم الكلام الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية وهو الذي نسبت تسميته إلى الجاحظ، وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد في الكتاب العزيز[٢]

وهذا اللون كثير في شعر المتنبي خاصة وأنه شعر غلبت عليه الفلسفة والحكمة، فكثيرا ما يورد القضية مشفوعة بالبرهان، ويورد الحكم متبوعا بالدليل، ومن شواهده في شعره عن الشباب والمشيب قوله:

مشبّ الّذي يبكي الشّباب مشيبه ... فكيف توقّيه وبانيه هادمه؟!

وتكملة العيش الصبا وعُقيبه ... وغائب لون العارضين وقادمُه

وما خضب الناس البياض لأنه ... قبيح ولكن أحسن الشعر فاحمه[٣]

فالشطر الأول من البيت الأول كالمقدمة والشطر الثاني برهانها، وكذا في البيت الثالث أطلق في الشطر الأول حكما ثم عقبه ببرهانه ودليله في الشطر الثاني، وقد تناولت هذا الأبيات بالشرح فيما سبق فلا داعي لإعادة القول فيها.

خامسا: الجناس

و من المحسنات التي استعملها المتنبي الجناس ومن شواهده قوله:

---

(١) ديوان المتنبي ص٤١

(٢) تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري، ص١١٩

(٣) الديوان ص٢٥٧، ٢٥٨

وقد أراني الشباب الروح في بدني ... وقد أراني المشيب الروح في بدلي (١)

فبين بدني وبدلي جناس و بين الشباب والمشيب طباق بالتضاد من جهة، ومن جهة أخرى بينهما جناس ناقص لاتفاقهما في بعض الحروف، وقد أضفى هذا المزج بين هذين اللونين على البيت شيئًا من الجرس والموسيقى، وقد استطاع من خلال هذا الجناس والطباق أن يجعل الشباب مساويا للحياة، و الشيب مساويا لفقدها، فالشباب أراه الروح في بدنه، والشيب انتزع منه الروح وأعطاها لبدله. وقد بالغ في تأكيد هذا المعنى بواسطة التكرار، فكرر جملة (وقد أراني) في الشطرين، وكرر المفعول وهو كلمة (الروح) في الشطرين، وكان يكفيه أن يذكر ضميرها في الشطر الثاني لوجود ما يدل عليها في الشطر الأول، إلا أنه آثر الإظهار فيما حقه الإضمار؛ ليتأكد المعنى ويستقر في النفس.

وأفضل ما فسر به البدل هنا هو الولد لأنه كأنه بدل الإنسان، إذ كان يشب أوان شيخوخة الأب، ثم يرثه، ويكون كأنه بدله في ماله وبدنه.(٢)

ومنه كذلك قوله:

ضيفٌ ألم براسي غير محتشمِ ... والسيفُ أحسنُ فعلاً منه باللمم
ابعدْ بعدتَ بياضــاً لا بياض له ... لأنت أسودُ في عيني من الظلم(٣)

---

(١) الديوان ص٣٣٧

(٢) ينظر: الفتح على أبي الفتح لابن فُورَّجَة ، تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ط: الثانية ١٩٨٧م، ص٢١٨

(٣) الديوان ص٢٠

فجانس بين " ألمَّ " و " اللمم "، وقد تحدثت فيما مضى عما أحدثه هذا الجناس من نغم جعل البيت أكثر عذوبة، لا سيما وأنه جاء عفو الخاطر ولا تكلف فيه، ثم نجد في البيت الثاني طباقا بالسلب بين قوله: " بياضا " وقوله: " لا بياض له " وطباقا بالتضاد بين قوله: " بياضا " وقوله: " أسود "، وقد استطاع بهذا المزج بين الجناس والطباق أن يظهر ما بداخله من ألم وحزن من هذا الشيب، جعله أولا يفضل فعل السيف بالرأس عليه، ثم جعله ثانيا يرى بياض الشيب أسود في عينة من الظلام الحالك، وتلك السوداوية نابعة من بغضه الشديد له، ولذا بدأ البيت الثاني بالدعاء عليه بالبعد.

سادسًا: رد العجز على الصدر

وهو في النّثر: أن يجعل أحد اللفظين المكرّرين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أوّل الفقرة، والآخر في آخرها؛ وفى النّظم: أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر المصراع الثاني[1]

ومن شواهده في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب قوله:

متى ما ازددت من بعد التناهي ... فقد وقع انتقاصي في ازديادي[2]

فقد ختم البيت بقوله: " ازديادي" وبدأه بقوله: " ازددت" ومثل هذا الصنيع يضفي على الكلام شيئًا من الموسيقى ولونا من الجمال

ومنه كذلك قوله:

وإذ ا الشيخ قال أف فما م ... ل حياةً وإنما الضعف ملا

(1) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص جـ٤/٤٣٤، ٤٣٥

(2) الديوان ص٨٥

آلةُ العيش صحة وشبـاب ... فإذا وليـا عن المرء ولى[1]

ففي البيت الأول وكذا في البيت الثاني رد للعجز على الصدر، حيث خم البيت الأول بقوله: " ملا " وختم الشطر الأول منه بقوله " مل" ، وفي البيت الثاني ختم الشطر الثاني بقوله: " ولى" وبدأه بقوله: "وليا"

(1) الديوان ص٤٠٧

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فقد صحبت شاعر العربية ورب السيف والقلم: المتنبي، من خلال هذا البحث، تعلمت من شعره، واستفدت من خبراته، واستعنت بتجاربه، وأدركت أنه كان صاحب عقل عبقري، ونظر ثاقب، وفكر مستنير، ونفس طموحة، إلا أنه كان ساخطا غير راض، فشقي بذلك أي شقاء، وأتعب نفسه أي تعب، ولم ينل إلا ما قدر له، وأيا ما كان، فمن خلال دراستي لظاهرة الشباب والمشيب في شعره استنتجت عدة أمور يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولًا- كان المتنبي في صباه يتحرق شوقًا إلى الشباب الذي يمنحه القوة والحرية، ولذا وجدناه يلوم نفسه على عدم استغلاله لهذا الشباب الذي كان يتحرق لبلوغه لإدراك ما يريد إدراكه، ونيل ما يتمنى نيله.

ثانيًا: كان يعنف الشيب ويكرهه إلا أنه يرى أن للشيب فوائد للمرء لا تتوفر له في الشباب، وهذا استسلام منه للشيب، إلا أن ذلك لم يثنه عما أراده لنفسه، ولم يفت من عضده أو يقلل من رغبته في نيل المعالي؛ فإن له نفسًا وهمة لا يمكن أن يدركها الشيب أو ينال منها الضعف والعجز.

ثالثًا: وظف المتنبي عنصري الشباب والمشيب في شعره، واستعملهما في شتى الأغراض ومختلف المقامات.

رابعًا: شعر المتنبي لا يعبر عن نفس صاحبه خاصة، بل إنه يعبر عن النفس الإنسانية عامة، وأظن أن تلك السمة هي صاحبة الفضل في

نيل الشاعر ما ناله من منزلة ومكانة بين شعراء عصره، وما سبقه ولحقه من عصور.

خامسًا: كان المتنبي يتعمد الغموض والمستغلقات في شعره، بل ربما كانت يتعمد تلك السرقات التي اتهم بها، والذي دفعه إلى ذلك – من وجهة نظري– حب الظهور والشهرة.

سادسًا: المتنبي يعني باختيار الألفاظ، بحيث تلائم السياق، وتؤدى الغرض الذي سيقت من أجله ونيطت بأدائه، وهذه السمة شائعة في شعره بصفة عامة، وفي شعره عن الشباب والشيب بصفة خاصة.

سابعًا: لجأ المتنبي في شعره عن الشباب والمشيب إلى المجاز ليبث من خلاله طرب الشباب ونشوته، وأنات الشيب ولواعجه، لكن الاستعارة عنده – ولاسيما المكنية– أكثر شيوعا من المجاز المرسل.

ثامنًا: المحسن البديعي الشائع في شعره عن الشباب والمشيب، بل في شعره عامة هو الطباق والمقابلة، وقد تنبه الدكتور/ طه حسين إلى هذه الظاهرة في شعر المتنبي، واعتبرها مظهرا أساسيا في فنه.

فهرس المراجع

١- الإبانة عن سرقات المتنبي لأبي سعيد محمد بن أحمد العميدي- تحقيق/ إبراهيم الدسوقي البساطي - دار المعارف بمصر ١٩٦١م

٢- أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط: الرابعة ١٩٦٣م

٣- الأساليب الإنشائية في النحو العربي للأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط:الخامسة٢٠٠١م

٤- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية د/ صبّاح عبيد دراز، ط:الأولى١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

٥- أمالي ابن الشجري، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة ط: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م

٦- الأنساب للسمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط:الأولى١٣٨٢هـ ١٩٦٢م

٧- الإيضاح للخطيب القزويني، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط: السابعة عشر١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

٨- البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط: الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

٩- البلاغة والتطبيق د/ أحمد مطلوب ، د/ حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالعراق، ط: الثانية ١٩٩٩م ١٤٢٠هـ

١٠- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى١٤١٧هـ

١١- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د/ حفني شرف، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٢- التعبير البياني د/ شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة

١٣- تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت

١٤- ثقافة المتنبي لفاروق حسان، مكتبة: العلم والإيمان بالعامرية، الإسكندرية، ط: الأولى

١٥- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر، تحقيق الأستاذ: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م

١٦- ديوان المتنبي، دار بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

١٧- ديوان النابغة الذبياني– دار المعرفة بيروت

١٨- ذكرى أبي الطيب د/عبد الوهاب عزام، شركة نوابغ الفكر، ط: الأولى١٤٣٤هـ٢٠١٣م

١٩- ساعات بين الكتب ضمن المجموعة الكاملة للعقاد، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط:الأولى،المجلد السادس والعشرون

٢٠- شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقا/إبراهيم الإبياري/عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت

٢١- شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري "معجز أحمد" تحقيق د/ عبد المجيد دياب، دار المعارف، ط: الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م

٢٢- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

٢٣- شروح التلخيص دار إحياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي

٢٤- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي للشيخ يوسف البديعي، المطبعة العامرة الشرفية، ط:الأولى ١٣٠٨هـ

٢٥- الصناعتين: الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت ١٤١٩هـ

٢٦- العمدة لابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط: الخامسة١٤٠١هـ ١٩٨١م

٢٧- الفتح على أبي الفتح لابن فُورَّجَة ، تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ط: الثانية ١٩٨٧م

٢٨- فن البديع، د/ عبد القادر حسين، دار الشروق، ط: الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٢٩- الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/ شوقي ضيف – دار المعارف ط:١١

٣٠- في عالم المتنبي د/ عبد العزيز الدسوقي، دار الشروق، ط: الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

٣١- الكتاب لسيبويه تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

٣٢- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي للصاحب بن عباد – تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين- مكتبة النهضة، بغداد – ط: الأولى، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م

٣٣- اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

٣٤- اللسان دار صادر- بيروت- ط: الأولى
٣٥- المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي لأبي العباس، عز الدين الأزدي المُهَلَّبي
٣٦- المتنبي في الدراسات الأدبية الحديثة في مصر د/ ضيف الله هلال العتيبي، دار غريب بالقاهرة، ط: الأولى ٢٠٠٧م
٣٧- المتنبي وسر عظمته مقال للشاعر/ عبد الرحمن شكري، مجلة الرسالة، العدد ٢٩٠ و ٢٩١
٣٨- المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة د/ عباس حسن، مطبعة البابي الحلبي، ط:الأولى١٣٧٠هـ ١٩٥١م
٣٩- المثل السائر لابن الأثير- تحقيق:أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر
٤٠- المثل السائر لابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة
٤١- مطالعات في الكتب والحياة لعباس محمود العقاد، دار الفكر١٩٧٨م
٤٢- مع المتنبي د/ طه حسين، دار المعارف، ط:١٣
٤٣- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب بيروت
٤٤- المنصف للسارق والمسروق منه لابن وكيع، تحقيق: عمر خليفة بن إدريس، جامعة قات يونس، بنغازي، ط: الأولى، ١٩٩٤م
٤٥- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي، تحقيق: عبود الشالجي، دار: صادر بيروت، ط:الثانية ١٩٩٥م

٤٦- نصوص مختارة في الأدب العباسي د/ محمد حسن شرشر، ط:الأولى١٣٩٩هـ

٤٧- الوساطة للقاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي - المكتبة العصرية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م

٤٨- يتيمة الدهر للثعالبي، تحقيق: د/ مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى ١٤٠٣هـ١٩٨٣م

فهرس المحتويات

مقدمة

تمهيد: المتنبي حياته وشعره

الفصل لأول:

خصائص المفردة والجملة في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب

المبحث الأول: جماليات المفردة وأثرها في نظم الجملة

أولًا: دقة الكلمة ووفاؤها بالمعنى

ثانيا: ملاءمة الكلمة لسياقها

المبحث الثاني: خصائص الجملة

الخبر والإنشاء ودورهما في إبراز المعاني

أسلوب القصر

التقديم والتأخير

الفصل الثاني:

التصوير البياني في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب

المبحث الأول: التشبيه

المبحث الثاني: المجاز

الفصل الثالث:

المحسنات البديعية في شعر المتنبي عن الشباب والمشيب

الخاتمة

فهرس المراجع

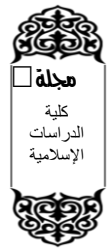
مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية